المحاضرة الأولى

السّياسات العربيّة تجاه اللُّغة العربيّة في عصر العولمة

الأستاذ الدّكتور عبد الله واثق شهيد

أمين عامّ مجمع اللّغة العربيّة بدمشق

الاثنين 12 جمادى الآخرة 1429هـ- 16 حزيران 2008م .

مظهر من أهمّ مظاهر العولمة الّتي تعنينا في موضوعنا هذا، هو ما يحمله طغيانها من أخطار تحدّق بهُويّا ت الشُّعوب: ثقافاتها ولغاتها، ذلك لأنّ مكوّنات الحضارة والمعرفة تكاد تنقل جميعها إلى جميع أصقاع المعمورة باللُّغة الإنجليزية: في وسائل الاتّصالات المسموعة والمرئيّة والمكتوبة... بالتلّفزة والسّينما وأشرطة الصّوت والفيديو والمنشورات الورقيّة والإلكترونيّة، وفي جميع مجالات الحياة الفكريّة الثقافيّة والتّعليميّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي العلوم بفروعها المختلفة من أساسيّة وتطبيقيّة وإنسانيّة، وفي الآداب والفنون.

وتقود هذه الهيمنة إلى تلوين ثقافات الشُّعوب تدريجيًّا بألوانٍ يختفي وراءها وجه الثّقافة الأصليّ، ولا يلبث أن تضمحل صورته وتطمس معالمه وآثاره.

إنّ سرعة تقدّم العلوم والمعرفة عامّةً والاتّصالات والمعلوماتيّة منها خاصّة، جعل وقع ضربات العولمة أشد وأقسى على الاقتصاد والمجتمع واللّغة. فقد ذُكِرَ في تقرير الأمم المتّحدة عن التّنمية البشريّة في عام 2001 أنّه في ذلك العام كان "يمكن إرسال معلومات عبر كابل واحد في ثانية واحدة أكثر من المعلومات المرسلة في عام 1970 عبر شبكة الإنترنت بأكملها في شهر. وأن سعر نقل تريليون بت من المعلومات من بوسطن إلى لوس أنجلوس انخفض من / 150/ ألف دولار في عام 1970 إلى 12 سنتًا اليوم ويتكلّف نقل ملفٍّ مكوّنٍ من / 40/ صفحة من شيلي إلى كينيا بالبريد الإلكترونيّ أقلّ من 10 سنتات وبالفاكس حوالي 10 دولارات وإرساله بالبريد المستعجل يتكلّف 50 دولارًا "[1]. هذه أمثلة نموذجيّة عن

---

(١) ينظر: تقرير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية في عام (2001)، الصفحة 30، النسخة العربية. لقد حافظنا في نقل هذه الفقرة على لغة المترجم.

وقع التّغيُّرات السّريعة في الاتّصالات والمعلوماتيّة على الاقتصاد الّذي يسير عالميًّا في اتّجاهٍ واحدٍ هو اتّجاه الاقتصاد الأقوى الّذي فرض وسائل العولمة الاقتصاديّة ومفاهيمها، كمنظّمة التّجارة العالميّة واقتصاد السُّوق، وطغى على الاتّجاهات الأخرى فقضى عليها أو همّشها.

إنّ دراسة اللُّغة من منطلقٍ علميٍّ صرفٍ بعيدًا عن الانفعالات العاطفيّة يساعد على إيضاح رؤية مشكلاتها ضمن بيئة العولمة، ويرينا أنّ العولمة تسعى إلى هيمنة نموذجٍ لغويٍّ واحدٍ كما تسعى إلى هيمنة نموذجٍ اقتصاديٍّ واحدٍ، وتشابه المصيرين بيّنٌ واضح فيما جاء في الصّفحة الأولى من هذه الدّراسة. إنّ هيمنة اللُّغة الإنجليزيّة ستؤدّي إلى تهميش اللُّغات الأخرى واندثار الضّعيفة منها، وإلى انزواء القويّة في جزرٍ لغويّةٍ ضيّقةٍ لتلقى فيما بعد المصير نفسه. ويبدو من الإحصاءات أنّ عدد اللّغات الّتي يتوقّع لها أن تندثر في الخمسين سنةٍ القادمة يبلغ ثلاثة آلاف وأربع مئة لغة[٢].

ولقد هزّ طغيان اللّغة الإنجليزيّة شعوب العالم بعنف، المستضعفة منها والقويّة، فانبرت متّحدةً لدفع شرور ذلك الطّغيان، وللدّفاع عن هويّاتها في منظّمة الأمم المتّحدة للثّقافة والتّربية والعلوم (اليونسكو)، التي أصدرت قرارًا حازمًا في خريف عام 2005 يؤكّد ضرورة الحفاظ على التّنوّع الثّقافيّ في العالم، واتُّخذ القرار

---

(٢) ينظر إبراهيم بن مراد: التعليم العالي وقضايا اللغة، دراسة قدمت في عام 2001 للجنة مشروع وضع الإستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي، أحد مشروعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وأورد هذا التّقدير نقلاً عن جريدة التايم في عددها الصادر بتاريخ 17آب من عام 2000. كما أوردت مصادر مختلفة ما يؤيده، نذكر منها مقالاً لعباس بيضون في جريدة السفير اللّبنانيّة عن توقع اندثار ثلاث مئة لغة سنويًّا.

بإجماع الدُّول الأعضاء إجماعًا خرجت عنه الولايات المتّحدة وإسرائيل فقط، مع أنّ إسرائيل من أشدّ الدُّول تمسُّكًا بلغتها العبريّة الّتي أحيتها بعد موت واندثار.

فما هو واقع اللُّغة العربيّة في هذا العصر؟ نحن نعلم أنّ مستوى التّعليم في بلادنا أخذ بالتّراجع منذ الرّبع الأخير من القرن الماضي إن لم يكن في بعض الأقطار العربيّة منذ ستينيّاته. لقد تراجع أمام التّفجُّر السُّكانيّ وعجْزِ الدّولة عن الاستجابة لشدة الإقبال عليه. وتراجع ضمنه مستوى تعليم وتعلُّم العربيّة، ولا يخفى ما لتراجع مستوى العربيّة من مفعول تسريعيّ في تراجع مستوى التّعليم في كلّ ما يدرّس بالعربيّة. ثمّ انضمّ إلى التّفجّر السّكانيّ تفجّر ينابيع المعرفة من المعلوماتيّة والاتّصالات والشّابكة (الإنترنت) والبيولوجيا...، فتصدّعت بنية التّعليم الهشّة في أوطاننا، بعد أن غصّت بأجيال المتعلّمين وبأصناف المعرفة، وشرعت العولمة في غزوها الثّقافيّ بإعداد بيئتها الثّقافيّة بعد أن مكّنت لبيئتها الاقتصاديّة، وأخذت تتهاوى بعض أجزاء بنية التّعليم المتصدّعة فتتلقّفها العولمة لتحوّلها إلى نوى البيئة الثّقافيّة المعولمة فتُنشئ بها بنية تعليميّة تمكِّن للبيئة الثّقافيّة المعولمة. وتلك كانت غالبيّة مدارس التّعليم الخاصّ أو الأهليّ الّتي رأت أنّ في اتّباع سبيل العولمة تطويرًا للتّعليم، وأنّ اتّباع سبيلها يكون بالتّعليم باللّغة الإنجليزيّة. وتسابقت هذه المدارس إلى التزيّي بأزياء التّعليم المعولم، فاعتمد بعضها من برامج التّعليم الغربيّة ما أعجب به، ولم يبق للّغة العربيّة في هذا التّعليم الهجين، في مؤسّساتٍ كبرى للتّعليم الخاصّ في بعض الأقطار العربيّة إلا سويعات في الأسبوع لتدريس اللُّغة

العربيّة والدّيانة الإسلاميّة فقط[٣]. وكان هذا سبيل أكثر الجامعات الخاصّة أيضًا، وأخذ بعضها يفاخر بالموقع الخاصّ للغة الإنجليزيّة في بنية الجامعة، وبالعقود المحكمة الّتي تربطها بجامعاتٍ أجنبيةٍ نظّمت لها برامجها.

هذا هو الجانب الظّاهر المتنامي من سيطرة العولمة على تيار التّعليم الخاصّ بجميع مستوياته من رياض الأطفال إلى الجامعات. ولا يعني ذلك أنّ الأمّة قد استسلمت للعولمة أو ارتمت في أحضانها غير مباليةٍ بضياع هويّتها وثقافتها. فبعض الجامعات الخاصّة أحلّت تعليم لغةٍ أجنبيّةٍ حيّةٍ، هي الإنجليزيّة غالبًا المحلّ المناسب، فعلّمت اللّغة وعلّمت بها مقرّرات أو موادّ معدودة على الوجه الّذي يلبّي الهدف من تعليمها ولا يسيء إلى التّمكين للّغة العربيّة تعبيرًا وفهمًا وكتابةً وعلمًا، أي جعلت العربيّة لغة التّعليم فيها حقًّا، وأحسنت تعليم طلابها لغةً أجنبيّةً يتابعون بها تطوّر علوم اختصاصهم. وفي رياض الأطفال والتّعليم العامّ الأساسيّ والثّانويّ الخاصّ أو الأهليّ، قدّمت بعض المدارس نماذج ناجحة في التّعليم خاصةً في تعليم لغةٍ عربيّةٍ فصيحةٍ للأطفال، كان منها مدرسة الدّكتور عبد الله دنان في سوريّة، وقد كان لها في الكويت أيضًا تجربة ناجحة، كما اهتمّت بها جامعة بريغهام في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وموّلت جيل جنكينز لتحضير رسالة ماجستير لدراسة تجربتها[٤]. إن هذه المدارس الّتي قد تكون قليلة العدد اليوم قياسًا على عدد المدارس الّتي جرفها تيار العولمة، تدلّ على وجود مجابهةٍ عنيدةٍ وقويّةٍ لذلك التّيّار. وستكون لها الغلبة، فهي في خطّ الدّفاع عن الهويّة، ولقد صمد الدّفاع عن الهويّة في وجه الفتن الّتي مرّت بلغتنا العربيّة من قبل وفي ظروفٍ

---

(٣) ينظر: الدكتور عمر حمدو حمود: الفصل السابع، اللغة العربية والتعليم. كتاب منضد في طور الطباعة، غنيّ بالآراء والمعلومات والمراجع عن التعليم عامةً وعنه في وطننا العربي خاصة.

(٤) ينظر الدكتور عمر حمدو حمود، مرجع سابق، الصفحة 342 من النسخة المنضدة.

مختلفةٍ شديدة التّنوّع، ومنذ بدايات انتشار الإسلام في أصقاع الأرض، وخرجت لغتنا منها جميعًا نظيفة قويّة وأكثر خبرةً بإخماد الفتن الّتي لا يمثّل ما تأتي به إلاّ سرابًا خادعًا أو هجومًا ظالمًا مهما اختلفت مظاهره وألوانه.

وبالأمس، في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، قامت حركة الإحياء اللّغويّ في بلاد الشّام ردًّا على تيار التّتريك الّذي اشتدّت وطأته مع قيام جمعيّة الاتّحاد والتّرقي في تركيا، ووقفت الحركة في وجه جبروته بقوّة. إلا أنّ اللُّغة العربيّة في تلك الأيّام تعرّضت لفتنةٍ شبيهةٍ بمحنة اليوم(٥)، إذ ظهرت فئة استهدفت شقّ صفوف حركة الإحياء اللُّغويّ وزعزعة كيانها، فدعت إلى تبنّي اللّهجة العامّيّة، وصدرت كتب بها، وطوّر بعض المنشقّين هذه الدّعوة ووسّعها لتشمل استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربيّ، فاستحثت هذه البدعة الوعي القوميّ... فأثارت المزيد من النّقمة في النّفوس الّتي وطّدت عزمها على تعزيز حركة الإحياء اللُّغويّ، وأسّست الجمعيّات لتحقيق هذا الهدف بإنشاء المدارس الأهليّة والنّوادي، وحقّقت الجمعيّة الخيريّة الّتي أسّست في دمشق نهضةً تعليميّةً باللُّغة العربيّة ، فأنشأت ما بين عامي 1894 و 1895 ثماني مدارس للذّكور ومدرستين للإناث في دمشق... وساهم خريّجو المدارس الأهليّة الخاصّة، الإعداديّة والثانويّة بنصيبٍ وافرٍ في إثراء الثّقافة ونشر اللُّغة العربيّة، ورجع من ذهب منهم للتّخصّص في أوروبا "على المبادئ العلميّة المغروسة فيهم في تلك المدارس. فلمّا وُكِل إلى بعضهم التّدريس في الجامعة النّاشئة أيّام الحكم العربيّ (في دمشق)، أنفوا كلّ الأنفة من أن يدرسوا بفرنسيّةٍ أو إنجليزيّة ، وأخذوا على عواتقهم ردّ الاعتبار إلى

---

(٥) ينظر عبد الله واثق شهيد: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 79، الصفحتان 468 و 469.

اللُّغة العربيّة الّتي نهضت من تحت الأنقاض، فدأبوا ليل نهار حتّى قدّموا أحسن الخدمات إلى التّعليم العالي وهي تعريبه على الأسس الرّاسخة السّليمة"[٦].

وبالأمس القريب، في منتصف القرن الماضي (في عام 1948)، تقدّم أحد أعضاء مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة (مجمع فؤاد الأول) باقتراح استبدال الحرف اللاتينيّ بالحرف العربيّ [٧]!، وهكذا كلمّا نامت الفتنة بعثت الأيادي الخفيّة من يوقظها.

بالأمس ناصب التّتريك العداء للّغة العربيّة ممثّلاً بالعثمانيّين الّذين ندبوا جمعيّة الاتّحاد والتّرقي لتشرف على تنفيذه. ووقف الشّعب المقهور يدافع عن حريّته ممثّلةً بهُويّته العربيّة، ثقافته ولغته، وانتصر. أمّا اليوم فناصبت العولمة العداء للّغة العربيّة وشلّت مناهضة الشّعب بعولمة اقتصاده وبغزوها الثّقافيّ محمولاً على اللّغة الإنجليزية، فاحتلّ التعليم والشّارع والإعلام، واستفاقت فئة قليلة ونهضت باللُّغة العربيّة في بعض المدارس. ودقّت شعوب العالم ناقوس خطر العولمة في منظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والثّقافة والعلوم فانتصرت برفضها عولمة الثّقافة، كما ذكرنا من قبل، وأقرّت خيار التّنوّع الثّقافيّ. وتردّدت أصداء انتصارها على العولمة الثّقافيّة في ردهات منظّمات الأمم المتّحدة، فنسّقت مواقفها مع ذلك القرار وساهمت ببرامج لتنمية لغات الشّعوب وثقافاتها والحفاظ عليها، فكان منها في وطننا العربيّ مساهمات كلٍّ من منظّمة الصّحّة العالميّة لشرق المتوسط في تطوير المعجم الطّبّيّ الموحّد وقضايا المصطلح الطّبّيّ، وبرنامج الأمم المتّحدة للتّنمية بتقاريره السّنويّة عن التّنمية البشريّة العربيّة الّتي خُصّص فيها موقع ممتاز

---

(٦) ينظر سعيد الأفغاني: حاضر اللغة العربية في بلاد الشام – معهد الدراسات العربية العالية (جامعة الدول العربية)، القاهرة 1962، الصفحة 30.

(٧) محمد كرد علي: المذكرات: مؤتمر المجمع اللغوي، الصفحة 495، والحروف اللاتينية، الصفحة 499– مطبعة الترقي بدمشق 1949.

للُّغة العربيّة وللثّقافة العربيّة، والمنظّمة الاقتصاديّة الاجتماعيّة لغرب آسيا بمبادرتها في عام 2003 لتطوير صناعة المحتوى العربيّ على الإنترنت، وحذّر البنك الدّوليّ من تراجع مستوى التّعليم في البلاد العربيّة... .

إنّ ما تحظى به اللُّغة الأمّ من مكانة لدى أمم العالم كلّها، وسرعة اكتساح العولمة الثّقافيّة عُرُن مختلف ثقافات الشّعوب، أفزع مثقّفيها ونبّه قادتها إلى ما تحمله من أخطار تفتيت بنية المجتمع وتوهين قوام الدّولة. وسارع قادة الدّول العربيّة إلى العمل على التّمكين للُّغة العربيّة وتعزيز منعة ثقافتها من الاختراق. فنظّمت حملة التّمكين للّغة في سوريّة، وأقيمت مشروعات للتّرجمة مموّلة بمليارات الدّولارات في إمارات دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وفي دولتي قطر والكويت، وأسّست مشروعات مكانز للُّغة العربيّة في كلٍّ من الجزائر باسم الذّخيرة اللُّغويّة تدعمها الجامعة العربيّة، وباسم المدوَّنة العربيّة في المملكة العربيّة السّعوديّة الّتي أعلن عنها في أواخر العامّ الماضي [٨]، وسارعت كلٌّ من مصر وسوريّة أيضًا بإسناد سلطة الدّفاع عن العربيّة وتطويرها إلى مجمعيهما اللُّغويّين وجُعِلَ كلٌّ منهما حارسًا على سلامة اللُّغة، وإلزام التّعليم وجميع مؤسّسات الدّولة تنفيذ قراراتهما في شؤون اللُّغة. وطرحت سوريّة موضوع التّمكين للُّغة العربيّة في مؤتمر القمّة الأخير فاتّخذ الرّؤساء قرارًا باعتماده.

كلّ هذه الخطوات المباركة لن توقف مدّ العولمة الثّقافيّة، ولكنّها خطوات مهمّة وإجراءات أوّليّة لابدّ منها تمهيدًا لخوض معركةٍ محلّيّةٍ في الوطن العربيّ ضدّ العولمة الثّقافيّة، أقسى من المعركة العالميّة ضدّها في منظّمات الأمم المتّحدة.

كان التّعليم الخاصّ يمثّل طلائع الدّفاع عن اللُّغة والثّقافة في معركة التّتريك، أمّا اليوم فقد غيّر توجُّهه فتغيّر دوره. ففي غفلةٍ من القائمين عليه أصبح

---

(٨) الدكتور عمر حمدو حمود، مرجع سابق الصفحتان 349 و350 من النسخة المنضدة.

في توجّهه الجديد يمثّل ركائز هيمنة العولمة الثّقافيّة، ولم تعارض الدّولة التّغيير، ولعلّه جرى برضاها ومباركتها. ولهذا السّبب تناولنا موقع اللُّغة العربيّة في التّعليم الخاصّ، فبتحرّي أسباب انقلاب دوره نجد الخبر اليقين عن سياسة الدّولة الفعليّة تجاه اللُّغة العربيّة في الوطن العربيّ.

يمكن القول إذن بالاعتماد على واقع التّعليم الخاصّ في الوطن العربيّ إنّ موضوع السّياسة العربيّة تجاه اللُّغة العربيّة كان إلى وقتٍ قريبٍ موضوعًا لا يثير الاهتمام في كثيرٍ من البلاد العربيّة لأسباب تختلف باختلاف الأوضاع الخاصّة لأقطارها. وهذا الواقع هو من الأسباب الرّئيسة الّتي يسّرت للعولمة التّسرُّب إلى ثقافة المجتمع بعد أن استقرّ فيه اقتصادها المعولم أو كاد، ومن ثمّ زيّنت له أشكال التّعليم الخاصّ الّتي جعلت عمادها التّعليم باللُّغة الإنجليزيّة وبما تحمله معها من أساليب العولمة وبرامجها.

إنّ سياسة الدّولة في هذا المجال، وبعد قرارات المنظّمات الدّوليّة وقرارات دولٍ عربيّةٍ عديدةٍ، وقرارات مؤتمرات القمّة العربيّة ولاسيّما الأخير منها، يجب ألاّ تؤول إلى الاقتصار على ذكر جملةٍ بسيطة في دساتيرها أو في قوانينها تنصّ على أنّ اللُّغة العربيّة هي اللُّغة الرّسميّة للدّولة، أو أنّها لغة التّعليم في جميع مراحله. بل لابدّ من إيمان متّخذي القرار وصانعيه بالمضامين العميقة لمثل هذه النّصوص، وما يقتضيه تطبيقها من رسم أبعاد السّياسة الّتي ارتضيناها للّغة العربيّة، وتحديد منطلقاتها وغاياتها، واستشراف المشاهد المختلفة الممكنة لمستقبلها كما تُستقرأ من الواقع وبيئته، ووضع الإستراتيجيّة الّتي تصل بها إلى المشهد أو الصورة الّتي يمكن أن تحقّق غايات السّياسة. وبقدر ما تكون صورة السّياسة واضحة في أذهان صانعي القرار على الأقلّ، يكون لسياسة الدّولة معنًى، لأنّها تكون قد صدرت عن إرادة ووعي وتبصّر.

هذه الإرادة الواعية البصيرة لم تصحب "شعارات" الدّولة الخاصّة باللُّغة العربيّة فبقيت لذلك شعارات، كمثيلاتها شعارات الحرّيّة والدّيمقراطيّة...، ترضي المواطنين ولا تثير في نفوسهم تساؤلات حول العمل بها وتحديد محتواها وكيفيّة تحقيقه، وهو ما يوجبه العمل بها.

إنّ التّطوّرات الأخيرة في مواقف أصحاب القرار، قادة الدّول العربيّة، من العولمة الثّقافيّة واللُّغة العربيّة تنبئ بالخير، فالمنتظر أن يلقى إصلاح شؤون العلم والمعرفة عامّةً و اللُّغة العربيّة والثّقافة خاصّة، آذانًا صاغية لكل مقترحٍ رصينٍ في هذه المجالات. ونجاح المرحلة القادمة يقع على كواهل صانعي القرار في مؤسّسات الدّولة والمثقّفين الّذين تشغل أذهانهم مشكلات اللّغة والثّقافة والتّقدّم العلميّ والتّنمية. وواقع الحال فإنّ مسؤوليّات هذه المشكلات تقع منذ زمن بعيد على عواتق صانعي القرار والمثقّفين عامّةً، منهم تنتظر المبادرة بالأفكار النّيّرة للإصلاح، لأنّهم يعايشون مشكلات اللُّغة والثّقافة والعلم، وعليهم هم تقع مسؤوليّة تمحيص الحلول الّتي تحملها الأفكار وتطوير الصّالح منها، ومسؤوليّة تنفيذ ما اختير منها؛ وهذه المسؤوليّة مهمّة جدًّا، فقد أحجم المثقّفون الّذين وُكِلت إليهم مهمّة التّعليم الجامعيّ، في كثير من الأقطار العربيّة، عن تعريب التّعليم وعطّلوا في بعض البلاد العربيّة أحكام القانون في تعريب التّعليم العالي. وهم بين مخفٍ عجزه وتكاسله عن القيام بهذه المهمّة ومتعالٍ على الآخرين بالتّدريس بلغة أجنبيّة.

وتعريب التّعليم عامّةً، والتّعليم العالي منه خاصّة هو من أهمّ مشكلاتنا في وضع سياسةٍ تُتَّبع في شؤون اللُّغة العربيّة. لقد نشأ التّعليم العالي في سوريّة في بدايات القرن الماضي باللُّغة العربيّة وفي كنفها، استجابة لرغبة الجمهور، وليس تنفيذًا لما سنّته القوانين. وفي عام 1913 اضطرّت الدّولة العثمانيّة إلى الموافقة على "التّدريس باللّغة العربيّة في جميع مدارس الولايات الّتي يتكلّم أكثرية سكّانها

هذه اللّغة [٩]..." ولم يتأثّر هذا التّوجّه، أو بالأحرى هذه السّياسة، في سنوات الانتداب الفرنسيّ، ولم يفكر المثقّفون الّذين وُكِلت إليهم مهمّة التّعليم في الجامعة السّوريّة النّاشئة بالتّعليم بغير اللُّغة العربيّة كما يذكرّنا الأستاذ سعيد الأفغاني [١٠]. إنّ سياسة الدّولة تجاه اللُّغة العربيّة تظهر بوضوح في سياسة التّعليم. وسياسة التّعليم تعاني في كثير من البلاد العربيّة "غياب رؤية متكاملة واضحة للعمليّة التّعليميّة وأهدافها... وتتّسم سياسات التّعليم في بعض البلدان العربيّة إضافةً (إلى ذلك) بقدرٍ عالٍ من التّذبذب"[١١]. ويكاد يكون الثّابت في سياسة الدّولة تجاه اللُّغة العربيّة هو النّصّ على أنّ اللُّغة العربيّة هي اللُّغة الرّسميّة في البلاد، وهي لغة التّعليم. ولا يعني نصّ دساتير البلاد وقوانينها على مثل هذه العبارات أنّ مؤسّسات التّعليم تراعي تطبيقها بدقّة. إنّ مسؤوليّة تعريب التّعليم العالي، أي التّعليم باللُّغة العربيّة في الجامعات والمعاهد، هي مهمّة الجامعات العربيّة، مهمّة أعضاء هيئات التّدريس فيها، وهم يتحّملون وِزْر تأخر تعريب التّعليم وعدم وضع سياسةٍ واضحةٍ رصينةٍ متكاملةٍ للُّغة العربيّة في بلادنا، وبخاصّة في الأقطار الّتي لم تُنشئ مجمعًا للّغة العربيّة فيها، ولاسيّما في هذه الظّروف العصيبة الّتي رافقت العولمة. وبعد اتّخاذ الرّؤساء العرب في قمّتهم الأخيرة القرارات الّتي رسمت الخطوط العريضة لسياسة عربيّة تجاه اللّغة العربيّة أو لمنطلقاتها، لم يبق للقائمين على التّعليم إدارةً أو ممارسةً عذرٌ يسوّغ إحجامهم عن تعريب التّعليم بجميع مراحله، كما لم يبقَ للدّولة عذر يسوّغ تأخّرها في وضع سياستها تجاه اللّغة العربيّة، والعمل على تطبيقها بحزمٍ. يستوحى من إيمان الرّؤساء بحكمة ما أقرّوا في قمّتهم، على أن

---

(٩) ينظر عبد الله واثق شهيد: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي، مرجع سابق، الصفحة (470).

(١٠) ينظر الحاشية رقم (6).

(١١) ينظر تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003، الصفحة 54.

يكون تطبيقها في التّعليم في أقرب وقتٍ، وأن يكون في أحكام تطبيقها محاسبة المخالفين. ولنا في تجارب دولٍ أخرى عبرة، فقد ذُكر في الخطّة الشّاملة للثّقافة العربيّة ما يأتي [١٢]: "دام الاستعمار الياباني لكوريا ستّين سنة منع فيها تداول اللّغة الكوريّة، وما إن استقلّ البلد حتّى كان أوّل مرسوم في أوّل عددٍ من جريدته الرّسميّة منع التّحدّث باليابانيّة. وقد جُمع الشّيوخ من الرّيف في الصّيف لتعليم المدرّسين لغتهم... وحسم (هوشه منه) القضيّة اللّغويّة بعد انتصاره مباشرة في فيتنام فأعلن فتنمة كلّ الكلّيّات والجامعات والمدارس، وحين طلب إليه أساتذة كلّيّة الطّبّ في هانوي إمهالهم عدّة سنوات لترجمة المراجع، أمهلهم تسعة أشهر على أن تجري الامتحانات في نهايتها بالفتنامية...".

إنّ قرارات الرّؤساء والمشروعات الضّخمة الّتي أعلن بعضهم وبعض الأمراء عن إقامتها، لن يكتب لها النّجاح إذا لم توضع في إطار سياسة للّغة العربيّة يُلحق بها استراتيجيّة تعمل في خدمتها وتحقق أهدافًا تحدّد لها وفق ظروف العمل ومستوى الطّموحات. ولن يكتب للاستراتيجيّات النّجاح إلا إذا تولّت متابعة تنفيذها مؤسّسة ، تختار لها إجراءات التّنفيذ وأساليبه، وتضع خططه وتحشد له الخبرات وتقوّم انحراف مساره عن الأهداف الموضوعة، وتعالج ما يعترضه من صعوبات، وتقدّر ما يصيبه من نجاح في الوصول إلى الأهداف، ومدى ما يحقّقه من تطوير خبرات العاملين وتكوين العلماء.

أمّا المشروعات الضّخمة الّتي أعلن عن إقامتها وتمويلها بعض الرّؤساء والأمراء فيجب أن توظّف أيضاً في خدمة السّياسة اللُّغويّة العربيّة، فتقوم فيها بدور المؤسّسات والمشروعات الّتي واكبت بناء الحضارة العربيّة الإسلاميّة. إنّ تطوّر اللُّغة العربيّة في مطلع بناء الحضارة العربيّة الإسلاميّة جرى في مؤسّسات

---

(١٢) ينظر الخطة الشاملة للثقافة العربية، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الثانية، تونس 1990 الصفحة 99.

كمدرستي الكوفة والبصرة، وجرى نقل العلوم إلى العربيّة في مشروع أشرفت عليه الدّولة ورعته وجمعت له العلماء والتّراجمة وتحوّل بسرعةٍ إلى مؤسّسةٍ عُرفت باسم بيت الحكمة، نقلت العلوم إلى العربيّة وطوّرتها وطوّرت معها العاملين فيها. لا يكفي منح الأموال لإنجاز مشروعات كان إنشاؤها حلم المثقّفين، يجب أن يقيم المانحون كيانًا تنظيميًّا لكلّ مشروع تحدّد أهدافه ويدعى للعمل فيه علماء لهم خبرة وشباب أُحسن إعدادهم ويحبُّون العمل فيه.

وأمّا المؤسّسة الّتي عليها أن تتولّى متابعة تنفيذ الاستراتيجيّة فهي مجمع اللُّغة العربيّة، فليس بين مؤسّسات الدّولة ما هي ألصق منه بهذه المهمّة. إنّه المؤسّسة الوحيدة الّتي اقتصرت أغراضها وأهدافها على حماية اللُّغة العربيّة وسلامتها وتطوير خدمتها. إلا أنّ بنية المجمع وأساليب العمل فيه لم تتطوّر بالقدر الذي يمكِّنه من القيام بهذه المهمّة في عصر العولمة. فالعمل العلميّ فيه مهما اختلفت صوره وأساليبه يقوم على ما ينجزه أعضاء المجمع فرادى من الأعمال، وحصيلة عمل كلٍّ منهم فيه تتناسب وسنوات العطاء من العمر، سنوات الكهولة وما حولها الّتي يقضيها العضو في المجمع. وقد لوحظ في مجمع دمشق أنّ العمر الوسطي لأعضاء المجمع لدى انتخابهم ارتفع من قرابة الخامسة والثّلاثين في العقد الأول من عمر المجمع (1919– 1930) إلى السّبعين اليوم، بعيدًا عن السّنوات المفعمة بالنّشاط والحيويّة منه، وأنّ العمر الوسطي لأعضاء المجمع اليوم أيضًا قد جاوز الخامسة والسّبعين! فكيف يتسنّى لهذا المجمع متابعة تنفيذ استراتيجيّة اللُّغة العربيّة في القطر والتّنسيق مع المجامع العربيّة لتنفيذ سياسةٍ لغويّةٍ عربيّةٍ واحدة؟ ولا تختلف الصّورة في المجامع الأخرى كثيرًا عنها في مجمع دمشق.

ثمّ إنّ المجمع الّذي يتابع تنفيذ استراتيجيّة اللّغة لابدّ من أن يكون قد شارك في وضعها وكوّن صورةً واضحةً عن محاورها والمراحل الحرجة في تنفيذها، أي

أن يكون هو الّذي وصَّف منهجية العمل المتبعة في وضعها، وعرضها على شركائه لاستكمال رسم صورتها. إنّه باختصار المؤسّسة الّتي عليها إعداد مشروع السّياسة اللُّغويّة العربيّة في القطر وإعداد مشروع الاستراتيجيّة الّتي تعمل على إنقاذ السّياسة وتحقيقها بتعاون منظّمٍ وثيقٍ مع الجهات المعنيّة بشؤون اللُّغة العربيّة ومنها بخاصّة وزارات التّربية والتّعليم العالي والثّقافة والإعلام وما يرتبط بها جميعًا من مؤسّسات. هذه المهامّ لا يمكن أن يقوم بها مجمع من مجامعنا العربيّة بأجهزتها الإداريّة الضّعيفة وبناها الهيكليّة البسيطة المتصلّبة. يجب أن يتحوّل المجمع إلى مركز بحثٍ علميٍّ لغويٍّ. تحلّ فيه وحدات البحوث محلّ لجان المجمع العلميّة الدّائمة، فيتمكّن المجمع من جهة، مستعينًا بالبنية الإداريّة الجديدة الممتدّة إلى وحدات البحوث، من متابعة تنفيذ الاستراتيجيّة والتّنسيق داخليًّا بين وحداته المختلفة وخارجيًّا مع الجهات المشاركة. ويتمكّن بهذا التّحوّل من جهةٍ أخرى، من الاعتماد على منظومة بحثٍ لغويٍّ تتمتّع بمنهجٍ علميٍّ في البحث والإدارة معًا، وتعتمد على خططٍ لا تتأثّر بسرعة بتغيُّر مجموعة قيادة المجمع أو تضعضعها بغياب أحد أفرادها. هذا الانتقال بالمجمع من النّظام الفرنسيّ وليد القرن السّابع عشر إلى مجمع علميّ لغويّ على غرار المجامع الّتي لا تزال تحتفظ بتسميتها أكاديميّات(!)، يؤمّن له الاستفادة من خبرات الأعضاء الّتي تراكمت مع تنوّع التّجارب الّتي مرّوا بها في شؤون اللّغة العربيّة، ويقي المجمع إلى حدٍّ ما من الاضطراب الّذي تسبّبه التّغيّرات المتوافرة في مجموعة قيادته أو في بعض أفرادها بحكم السّنّ. ويحتضن البيئة المناسبة لتكوين باحثين في مقتبل العمر يمكن أن يرقى بعضهم لعضويّة المجمع في سنٍّ مبكّرة، إذ يجب أن يبقى السّعي حثيثًا لإعادة شيء من الشّباب للمجمع لأنّ المشكلات المزمنة في تعليم وتعلّم اللُّغة العربيّة هي بمسيس الحاجة إلى تطعيم الخبرة بالإبداع الّذي نتحرّى عنه في لغويّين وعلميّين في سنِّ الكهولة أو ما قبلها.

التّعقيبات والمناقشات

- أشار **الدّكتور عبد الجليل عبد المهدي** عقب عرضه لمحتوى بحث الدّكتور عبدالله واثق شهيد الّذي اعتذر عن عدم تمكُّنه من الحضور لظروفٍ خاصّة به، إلى عنوان البحث "السّياسات اللُّغويّة تجاه اللُّغة العربيّة"، متسائلاً ألا يجدر أن يكون هذا العنوان محورًا عامًّا تدورُ حوله عددٌ من الأبحاث، وكلُّ بحثٍ يتحدّث عن قطرٍ أو قطرين عربيّين، فتتكامل الصُّورة وتتَّضح معالمها في الوطن العربيّ كلّه، ولا تقتصر على تجارب محدودة في الجمهوريّة العربيّة السُّوريّة، حيث إنّنا نحتاج إلى أمثلة كثيرة من أقطار الوطن العربيّ كلّه تبيّن مقاومة العولمة وما يكتنفها من أُمور، وردًّا على حديث الباحث عن مقاومة بعض الجامعات الخاصّة للعولمة تحدّث الدّكتور عبد الجليل عن واقع التّعليم في الجامعات الخاصّة في الوطن العربيّ بعامّة وفي الأُردن بخاصّة، مشيرًا إلى أنَّ هناك سعيًا للتغنّي والتَّفاخر بوضع مسمّيات لجامعات خاصّة في الوطن العربيّ من دون عملٍ للرّقيّ بالمستوى العلميّ لها، فالتّعليم في جامعة نيويورك الموجودة في عمّان مثلاً يختلف كلّ الاختلاف عن التّعليم في جامعة نيويورك في موطنها الأصليّ "أمريكا"، إذ إنّ البون شاسعٌ بينهما.

ثُمّ عقَّب الدّكتور عبد الجليل على حديث الباحث عن تمكين اللُّغة العربيّة في سوريّة، مبيّنًا أَنّ قلّة حصص اللُّغة العربيَّة في مدارسنا ستؤثّر على أداء طلابنا اللُّغوي، فاللُّغة العربيّة عندنا لها حصصٌ أقلّ ممّا ينبغي أن يكون لها بكثير، ففي المرحلة الثّانويّة – مثلاً – يُعطى الطّالب ثلاث حصص في اللُّغة العربيّة أُسبوعيًّا باستثناء الفرع الأدبيّ، الّذي يلتحق به فئة قليلة ... وتتشابه المدارس والجامعات في الأُردنّ وسوريّة في المناهج والخطط الدّراسيّة، وردًّا على حديث الباحث عن إنشاء مدارس لتعزيز حركة الإحياء اللُّغويّ تساءل الدّكتور عبد الجليل عن أسباب التّركيز على الإيجابيّات وتجاهل السّلبيّات في معرض حديثٍ

لغويّ علميّ أدبيّ ثقافيّ... ، وليس حديثًا سياسيًّا، وَلِمَ التّركيز على تجربة خاصَّة في سوريّة من دون استقصاء لتجارب مماثلة في العالم العربيّ كلّه؟!.

وإشارةً إلى الصّفحة العاشرة من البحث الّتي ركّزت على دور المثقّفين وإحجامهم عن التّعريب، وحاولت الابتعاد عن دور أصحاب القرار، أكّد الدّكتور عبد الجليل أهمّيّة القرار السّياسيّ في التّعريب، وهو لا يلغي دور المثقّفين، فعند صدور قرارٍ سياسيّ سيُلزمُ المعارضُ للتّعريب بالعمل بمقتضاه .

وأضاف قائلاً: إنّ الحديث عن السّياسات العامّة يوجب البحث في قضايا ومحاور أساسيّة تمثّل تلك السّياسة، مث ل سياسات المناهج التّعليميّة والكتب المدرسيّة وما يتّصل باللُّغة العربيَّة من اختيار للنّصوص ومن تأهيل من يعلِّمونها وغير ذلك... ، وهي إن سرنا فيها سيرًا صحيحًا ودقيقًا وموضوعيًّا فسنصل إلى تحقيق سياسات إيجابيّة، ومنها تمكينٌ للُّغة العربيّة في مؤسّسات الدّولة جميعها، إضافةً إلى أهمّيّة توضيح محور التّباين في سياسات الدُّول العربيّة تجاه اللُّغة العربيّة، فهل الدُّول العربيّة سواء؟! وهل المشرق العربيّ مثل مغربه؟! فالبلدان الّتي كان الإنجليز يستعمرونها يشيع فيها التّعليم بالإنجليزيّة، أمّا الفرنسيّة فتشيع في البلدان الّتي كان الفرنسيّون يستعمرونها، فماذا عن سيطرة اللُّغات الأجنبيّة؟! وكيف نقف إلى جانب لغتنا وننصرها؟! وماذا عن العاميّة في العديد من الفضائيّات ؟! وماذا عن لغة الإعلام؟! وهل سعينا لتخصيص أموالٍ لازمة لإنجاز مشروعاتٍ أساسيّة، مثل مشروع المعجم التّاريخيّ، وإنشاء مراكز للأبحاث والتّرجمة...؟! ولِمَ لا يُربط الموضوع المطروح اليوم بموضوعاتٍ ذات صلة وثيقة نوقشت في ندواتٍ سابقة فنبدأ بما انتهينا إليه.

اختتم الدّكتور عبد الجليل تعقيبه بالإشارة إلى طغيان العولمة علينا إلى الحدّ الّذي نجد فيه أنّ أقسام اللُّغة العربيّة في بعض البلدان العربيّة أُلغيت، وأصبح قسم

اللُّغة العربيّة ضمن وحدة التُّراث، ثمّ تساءل كيف ستكون العولمة، وكيف ستكون مقاومتها عندما يُخصَّص أربعون ساعةً للتّخصّص؟! فهل تكفي هذه السّاعات لتخريج متخصّصٍ أو مثقّفٍ أو عارفٍ باللُّغة؟! مشيرًا إلى تقرير الأمم المتّحدة الإنمائيّ لعام 2002م، الّذي ورد فيه أَنَّ العالم يواجه على جبهة اللُّغة موقفًا مصيريًّا، إمَّا أن يتمسّك بتعدُّد لغاته وما ينطوي عليه ذلك من صعوبة التّواصل وإعاقة تبادل المعلومات والمعارف، وإمَّا أن تتوحّد لغات العالم في لغةٍ قياسيّة واحدة، وهي اللُّغة الإنجليزيّة في أغلب الظَّنّ، وحينئذٍ تكون قد حلّت بالبشريّة الطامَّة الكبرى، كما ذكر مدير عام منظمة الثّقافة العالميّة (اليونسكو).

- أشار **الدّكتور عبد اللّطيف عربيّات** أثناء تعقيبه على هذه المحاضرة إلى كتاب: "الغارة على العالم الإسلاميّ" للكاتب الفرنسيّ شاتليه الّذي ألّفه عام 1906 وما ورد فيه من تلخيصٍ لمخطّطات للهيمنة على العالم الإسلاميّ، ذاكرًا أنّ ما يُقال الآن عن الهيمنة والسّيطرة على مقوّم مهمٍّ من مقوّمات الأُمّة العربيّة، وهو اللُّغة العربيّة، هو ناتجٌ عن تلك المخطّطات الهدّامة المستهدفة أُمّتنا الإسلاميّة، موضحًا أَنّنا ابتعدنا عن المرجعيّات الّتي انطلق منها آباؤنا وأجدادنا فاستطاعوا بذلك أن يحصّنوا أنفسهم ويحافظوا على مقوّماتهم، فمرجعيّاتنا السّابقة غُطَّت بكثيرٍ من الوسائل، ولذلك أصبحنا نفكّر تفكيرًا مختلفًا، وأصبح التّعليم في جامعاتنا العربيّة والإسلاميّة باللُّغة الإنجليزيّة حتّى في العلوم الإنسانيّة، وذلك على قاعدة الاستثناء، رغم أنّ تجربة التّعليم باللُّغة الإنجليزيّة قد خضعت للتّقويم في السَّبعينيّات وثبت فشلها، إلاَّ أنّ هناك مَنْ تجاهل النّتيجة السَّلبيَّة لهذه التّجربة، وتجاوز المؤسّسات القائمة للحفاظ على لغتنا العربيَّة، كما أُدخل تعليم العلوم والرّياضيّات باللُّغة الإنجليزيّة إلى مدارسنا الخاصّة، وأُقرّ تدريس لغة أجنبيّة من الرّوضة والابتدائي رغم مخالفة هذا الأمر لقواعد العلم والتَّربية.

ثمّ أشار إلى تقرير الأُمم المتّحدة الّذي ذكر قبل أشهرٍ قليلةٍ أنّ الأُردنّ يحتلّ المرتبة الأُولى عربيًّا في قطاع التَّربية والتّعليم منذ أربعين عامًا، موضحًا أنَّ شؤون التّربية والتّعليم نُظّمت بموجب قانون التّربية والتّعليم رقم 16 لسنة 1964، حيث حُدِّد انبثاق فلسفة التّربية والتّعليم في الأردنّ من الإيمان بالله والمثل العليا للأُمّة العربيَّة، ثم فُصّل هذا القانون عام 1988، ورغم كل المحاولات بقي هو الأصل، إذ جعل الوزارة مؤسّسة دائمة ومستمّرة؛ ولذا احتلّت الأُردنّ المرتبة الأُولى في البلاد العربيّة في مجال التّربية والتعليم منذ أربعين عامًا.

ثمّ تحدّث عن المرجعيَّات العربيّة الأصيلة والقيم الإنسانيّة الإسلاميّة الرّفيعة، وكيف استبدل بها مرجعيَّات غربيّة، وهُدِمت المؤسَّسات الصّحيحة المنظَّمة بالخلوات الّتي يقرّر فيها ما يتعارض مع القانون وعمل المؤسَّسات، ذاكرًا أنّ هذا العرض البسيط المتسلسل يوضّح لنا أين نحن، وكيف وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وماذا يرادُ بنا، وقد رأى الدّكتور عربيَّات أنّ التّمسّك باللُّغة، وتجاوز العقبات والتّحدّيات الّتي تحاك ضدّ لغتنا هي في مقدور أمّتنا إذا أرادت ذلك.

- عقّب **الدّكتور إسحاق فرحان** على هذه المحاضرة بتأكيده أنّ التّعريب إرادة سياسيّة، وأوّلُ مَن سيستجيبُ لهذه الإرادة المثقّفون، مبيِّنًا أنّ هذا الأمر يوجب القيام بالضّغط في الإعلام ومجلس النّوّاب والأعيان.... وعلى السّاسة ليقرّروا التّعريب، ثمّ أبدى أسفه لما يحدث في التّعليم الخاصّ من سيرٍ نحو الخصخصة كما تريد السّياسة العامّة، فبعض المدارس تدرّس العلوم والرّياضيات باللُّغة العربيّة والإنجليزيّة في آنٍ واحدٍ، وبعضها تقتصر على التّدريس باللُّغة الإنجليزيّة، وما يبعثُ على الأسف أيضًا ما أَقرّته وزارة التّربية والتّعليم قبل بضع سنوات من وجوب تعليم اللُّغة الإنجليزيَّة من الصَّفّ الأول

الابتدائيّ، وهذه خطيئة كبرى، والحديث ذو شجونٍ عن الفضائيّات والإعلام واللافتات والمسمّيات الّتي تُطلق على شركاتنا ومحالّنا... .

ثمّ أكَّد الدّكتور إسحاق ضعف التّعليم الجامعيّ في البلاد العربيّة، فبعض دول الخليج – مثلاً – يوجد فيها أكثر من عشرين جامعةً أجنبيّة كأكسفورد وهارفرد وغيرهما، حيث تعطي شهاداتٍ لخريّجيها لا ترقى لشهادات هذه الجامعات في بلدها الأجنبيّ، وقد اختتم تعقيبه بالإشارة إلى أهمّيّة اللُّغة العربيّة الّتي استُبدِل بها اللُّغة الإنجليزيّة في التّجارة والاقتصاد والإعلام... رغم أنّها صنو الدّين، فاللُّغة العربيّة والدّين عماد نهضتنا ومشروعنا الإصلاحيّ.

- ذكرت **الدّكتورة سرى سبع العيش** أنّ المحاضرة رغم جودتها إلاَّ أنّها، للأسف، مفتقدة للجدّة المنشودة منها، ففي بلادنا العربيّة لا توجد أيُّ سياسة رسميَّة في حفظ اللُّغة العربيّة، ربّما نجد مقاومةً بسيطةً للتّغريب في مدارس تحفيظ القرآن الكريم الّتي غايتها الأُولى دينيّة وثقافيّة، وهذا يعود بالخير على اللُّغة العربيّة، أمّا بالنّسبة للجامعات فهي توغل في التّغريبة الّتي تعيشها أُمّتنا العربيَّة، وما زالت مجامع اللُّغة العربيّة وحدها بقع زيتٍ مضيئة تطفو على بحر هذه التَّغريبة، وردًّا على ما ورد في المحاضرة من ذكرٍ كثيرٍ لسياسات التّعريب في سوريَّة، رأت الدّكتورة سرى أنّ هناك تراجعًا ملحوظًا في التّعريب في القطاع الطّبّيّ، إذ نلحظ أنّ الطّبيب السُّوريّ يكاد أن يكون خجولاً من لغته العربيَّة، فهو يحاول إلقاء محاضرته باللُّغة الإنجليزيّة المتعثّرة في المؤتمرات الطّبّيّة الّتي تُعقدُ في سوريَّة... ، كما يفعل أطبّاؤنا في الأُردنّ... فضلاً عن أنّ أسماء الأطبّاء الّتي تعلَّق على صدورهم بِشَاراتٍ صغيرة تُكتبُ باللُّغة الإنجليزيّة.

- تساءلت **الدّكتورة هدى أبو غنيمة** في مفتتح تعقيبها على هذه المحاضرة عن سبب تركيز مناهجنا على الأداء اللّفظيّ للطّلبة رغم كون لغتنا أداءً فكريًّا بالدّرجة الأُولى، وليست أداءً لفظيًّا... إذ إنّ هذا الأمر يبعد طلبتنا عن هذه اللُّغة، كما أنَّ عدم إقبال معظم طلبتنا على تعلُّم اللُّغة العربيَّة يرجع إلى أنّنا لم نستطع إلى الآن أن نصيغ نظريَّة من نصوصنا العربيَّة في تراثنا العربيّ المهمّ.

وقد تدعونا حالة المثاقفة في الأندلس إلى الانتباه إلى أنّ كثيرًا ممّا أُنتج في عصر النّهضة في أُوروبا كان نتيجة حالة المثاقفة بين العرب والأُوروبيّين، مشيرةً إلى أنّ الباعث على الأسف أنّ بضاعتنا لم تردّ إلينا بنزاهةٍ، بل رافقها مشروع سياسيّ يستهدف تغييب هُويّتنا، وأنهت الدّكتورة هدى تعقيبها ببيان أنّ حركة المقاومة تبدأ بتصحيح صورة الذّات عند أبنائنا، والتّنبّه لقيمة هذه اللّغة وقيمة هذا التّراث.

- توقَّف **الدّكتور حامد صادق قنيبي** في معرض تعقيبه على هذه المحاضرة عند كلمة "التّقنيات" وكيفيّة نطقها، موضحًا أنّ التِّقْنِيات هي مفرد تِقْنية، والتَّقْنِيَةُ مأخوذة من أتقن أو تقن بمعنى أَحْسَنَ، أمّا التِّقْنِيَةُ بالكسر فهي كلمة معرّبة مأخوذة من كلمة تكنولوجيا، ولأنّ مصمّم التّكنولوجيا قد يصمّم أحيانًا تقنية سيئة ذات عمر محدود، أو قد يتعمّد تصميم تقنية سيّئة مثلاً، فضلاً عن أنّ التّقنية كما ذُكر في هذه المحاضرة قد تكون لها آثارٌ سلبيَّة علينا إذا أسأنا استعمالها، ولم نقم بتوظيفها لصالحنا وصالح لغتنا، فهي ليست في كلّ أُمورها خيرًا، ولذا فإنّ ضبط الكلمة بالكسر أصحّ.

- استهلّ **الدّكتور مشهور عبد الرحمن مشاهرة** تعقيبه بالإشارة إلى قول الدّكتور عبد الجليل إنّ عنوان المحاضرة يحتاج إلى جرأة مؤكّدًا هذا القول، حيث إنّ

جميع ألوان التّغيير تحتاج إلى جرأةٍ ومصداقيّة، أَمَّا بالنّسبة لأهل السّياسة فقد رأى الدّكتور مشهور أنّه يكفي بأهل السّياسة أن يستشعروا أهمّيّة ما نتحدّث عنه وخطورة تجاهله، وأيّ استشعارٍ نستطيعه هو نجاحٌ له نتائجه، ثمَّ تحدَّث عن عولمة أقسام اللُّغة العربيَّة سواء أكان ذلك في مواد اللُّغة العربيَّة وذلك بتغيير بعض أسماء الموادّ خاصَّة التُّراثيّة إلى حديثة أو التّقليل من بعض الموادّ.... أم في أساتذتها، مشيرًا إلى أنّ أحد الحلول يكون بتفعيل أقسام اللُّغة العربيَّة، بحيث يكون القسم خليّة نحلٍ فاعلة ... ،ثمّ اختتم تعقيبه ببيانه كيف استطاعت مؤسّسات غير حكوميّة في القدس أغلبها في حقوق المرأة والدّيمقراطيّة، أن تعرض قضيَّتها، حيث قامت بثورة إعلاميةّ كبرى، وحاولت إقناع النّاس بأنّ لها قضيَّة، فإذا كان هؤلاء على باطلهم وزيف ما يدّعون أحدثوا شيئًا في مجتمعاتنا، أفلا نستطيع نحن أصحاب الحقّ أن نؤثّر في غيرنا ونحدث شيئًا يخدم قضيّتنا ؟!.

- أكَّد **الدّكتور عبد القادر عابد** أهمية وجود الإرادة السّياسيَّة أوّلاً، موضحًا كيف تمّت حركة نشطة للتّرجمة في دولة الخلافة الإسلاميّ ة في العصر العباسيّ، فعندما أرادت الدّولة التّرجمة قام علماء العرب المسلمون بأعمالٍ إبداعيّة في أيَّام المأمون... ثمّ تلا ذلك تأليفات كبيرة في بدايات القرن الثّالث مثل كتاب الحاوي في الطِّبّ لابن الرّازي ورسالته المشهورة في الحصبة والجدري والتّمييز بينهما.

وقد رأى الدّكتور عبد القادر أنّه لا بدّ من عصفٍ ذهنيّ وتفكير بطريقة إبداعيّة مختلفة من أجل نهضةٍ علميَّة شاملةٍ تتصدَّرها الإرادة السياسيَّة، مشيرًا إلى أنّ سوريّة رغم تعاملها مع تعريب التّعليم العالي والتّعريب بشكل عام قرابة مئة عامٍ إلاَّ أنّها لم تنهض، فالدّول العربيَّة الّتي تدّعي أنَّها عرَّبت التّعليم العالي والّتي لم تُعرّب كلاهما متخلّف جدًّا علميًّا وبطيء الخطوة نحو النّهضة.

- ابتدأ **الدّكتور عبدالله إبراهيم** تعقيبه ببيان الفرق بين الماضي والحاضر في تعلُّم اللُّغة العربيّة، حيث أشار إلى ضعف أبنائنا صغارًا وكبارًا في اللُّغة العربيَّة وتدهور مستواهم اللُّغويّ في العصر الحاضر، ذاكرًا أنّه لولا القرآن الكريم الّذي حفظ لغتنا وخلّدها لكانت اللُّغة العربيّة من أوائل اللّغات الّتي اندثرت، فاللُّغة مصيرها مربوطٌ بمصير أُمّتها فهي تضعف بضعف أهلها وتقوى بقوّتهم، والأمّة العربيَّة الآن في حالة ضعفٍ شديدة.

ثمّ تحدّث عن أهمّيّة تعليم اللُّغة العربيَّة؛ إذ إنّ كثيرًا من الألفاظ في لغتنا تتغيّر دلالتها تبعًا لتغيّر حركتها، وربّما يقع الإنسان في الحرام إذا غيَّر الحركة، مناشدًا الأساتذة الأفاضل ووزراء التّربية ومَن قادوا مؤسّسات تربويّة...أن يبذلوا وسعهم خدمةً للغتنا الشَّريفة الّتي يناصرونها ويستشعرون بأهمّيّتها ودليل ذلك حضورهم فعاليَّات مجمعنا، وهم يلحظون الضَّعف المتبدّي في اللُّغة لدى أبنائها، وكيف يخطئ خريج اللُّغة العربيَّة أكثر من خطأ في اللّغة وهو يقسم أمام مدير التّربية والتَّعليم بقسمٍ لا يتجاوز السّطرين، فضلاً عن حديث ساستنا ونوّابنا الّذي يتفطَّر منه القلب لشدّة الاعتداء على اللّغة ... ثمّ تساءل ماذا يمكن لمجمع اللُّغة العربيَّة الأُردنيّ والمجامع الأُخرى أن تفعل مقرونةً بأصحاب القرار، داعيًا إلى التّوصية بعقد امتحانٍ في اللُّغة العربيَّة لطلبة الدّراسات العليا على غرار امتحان "التوفل" في الإنجليزيّة، وأن يتولّى المجمع الأُردنيّ متابعة هذا الأمر.

- أوضح **الدّكتور خالد جبر** أنّ هناك فرقًا كبيرًا جدًّا بين أن تكون اللّغة وعاءً للفكر وبين أن تعلّم اللّغة بوساطة نصوصٍ فكريّة، مشيرًا إلى أنّنا واقعون في شبهة أو خلطٍ ناتج عن شبهة بين هذين الأمرين، فنحن لا نعيش في العصر الجاهليّ أو عصر صدر الإسلام... نحن نعيشُ في القرن الحادي والعشرين... فالعرب قديمًا كانوا يعيشون مجتمعًا لغويًّا، أمَّا نحن الآن فأمَّة

عرجاء عوراء من حيث اللُّغة، حي ث ابتعدنا كثيرًا عن أن نكون مجتمعًا لغويًّا... فالطُّرفةُ والنّادرةُ والنّكتةُ والشّعرُ والخطبةُ والرّسالةُ كلّها تُستعملُ فيها العربيَّة النّقية الخالصة الفصيحة، فكيف يمكن أن نستخدم النّصوص الرّاقية وهي تمثّل قمّة الذّكاء اللّغويّ في تعليم العربيَّة في الصّفّ الثّالث والرّابع الأساسيّ، وقد غلَبَت اللّهجات الدّارجة في عصرنا الحالي لغتنا الفصيحة بنسبة 99%؟! وكيف يفهم الطّلبة المجاز والاستعارة والكناية والتّشبيه بصنوفه المختلفة، ثمّ نحيد بهم عن أن يفهموا الجملة العربيَّة المنظومة نظمًا خطيًّا... ثمّ ذكر أنّه إذا كانت عنايتُنا بالقيم الّتي تمثّلها النُّصوص اللُّغويّة فإنّنا سنحيد كثيرًا عن أن يُتقن طلبتنا مهارات الكتابة والقراءة والمحادثة والاستماع... فقديمًا كانوا يقولون علّموا أبناءكم شعر فلانٍ وروِّهم شعر فلان... لأنّ المجتمع كان لغويًّا ... أمّا نحن الآن فقد ابتعدنا عن لغتنا، مشيرًا إلى أنّ هناك عوامل خارجيّة تتمثّل في هجمة أعداء الأمّة العربيّة على اللُّغة العربيَّة والقيم العربيّة والحضارة العربيّة والإنسان العربيّ بل على البلاد العربيّة ذاتها وعلى ثرواتها.... ، وهذه العوامل جعلت اللُّغة العربيَّة في مأزق، كما أنّ هناك مجموعة من العوامل الذّاتيّة تتطلّب الانتباه إليها، فما الّذي طوّرناه في أساليب تعليمنا للعربيَّة؟! حيث إنّ طلبتنا ما زالوا يتلقون تلقيًا تلقينيًّا وكأنّهم يتعلَّمون في الكتاتيب.

- تحدّث **الدّكتور همام غصيب** عن العولمة ذاكرًا أنّ فيها كثيرًا من السَّلبيَّات ولا خلاف في ذلك ... لكنّنا نغفل الجانب الإيجابيّ منها وهو ثورة الاتّصالات "الإنترنت وغيرها" فماذا فعلنا لتوظيف الإنترنت لخدمة لغتنا وأُمّتنا؟، كأن نقوم بتعميم النّصوص الجميلة وهي كنزٌ لا ينضب إضافةً إلى تعميم المصطلحات وما نريده من مبادئ وقيم....، كما أنّنا نفتقد عنصر التّراكم أو التّراكميّة في

أعمالنا، داعيًا إلى وضع خلاصة لما تمّ من أفكارٍ وما أُنجز من أُمور في هذا المجال أو ذاك، لنبني عليه بإضافاتٍ تغنيه.

أمّا القرار السّياسيّ الّذي تحدّث عنه المعقّبون فقد رأى الدّكتور همام أنّ القرارات السّياسيّة موجودة في دساتيرنا وقوانين جامعاتنا، والمشكلة تكمن في أنّ اللُّغة تنهض بنهضة الأُمّة وتكبو بكبوتها... مشيرًا إلى أنّ الإرادة السياسيّة غير القرار السّياسيّ.

المحاضرة الثّانية

التّرجمة الآليّة للُّغة العربيّة/ قضايا وحلول

الأستاذ مأمون الحطّاب

دار حوسبة النّصّ العربيّ

الاثنين 12 جمادى الآخرة 1429هـ- 16 حزيران 2008م

المقدّمة:

كانت التّرجمة مظهرًا من مظاهر الفعل الحضاريّ للأمم عبر التّاريخ، وهي أُنموذجٌ لجانب أساسٍ من جوانب التّفاعل الإنسانيّ الّذي يمكن أن يطلق عليه بمصطلحات الحاضر اسم حوار الحضارات، والتّرجمة الآليّة أداةٌ ووسيلةٌ لهذا الفعل الحضاريّ، وقد رأيت أن تكمن الفائدة العمليّة من هذه الجلسة في توجيه الخطاب فيها إلى أهل اللُّغة، إضافةً إلى تعريفهم بعمليّة التّرجمة الآليّة ومراحل تطوّرها وما تتطلّبه من جهودٍ لغويّة وحاسوبيّة، وبيان أين وصلت مستويات تقنيتها.[1]

ويحتوي هذا المقال على المواضيع الآتية:

- خطاب لأهل اللُّغة العربيّة.
- لماذا نحتاج إلى ترجمة آليّة؟
- أين انتهى العاملون عليها؟
- كيف نترجم آليًّا؟
- مستقبل التّرجمة الآليّة العربيّة، نظرة تاريخيّة.
- مستقبل حوسبة اللُّغة العربيّة خارج الإطار العربيّ: أبعاد الواقع.

---

1. هذا العنوان هو الذي اختاره المجمع لإحدى جلسات موسمه الثّقافي السادس والعشرين، وكلّف الدّكتور نبيل علي بإلقاء محاضرة في موضوعه. ونتيجة ظروف عائليّة فقد اعتذر الدكتور نبيل علي عن عدم تمكّنه من الحضور إلى عمان قبل موعد محاضرته بأسبوع. وقد شرفت بتكليفي بأن أنوب عنه في تحضير مادة الجلسة والحديث في الموعد المحدّد الّذي لم يكن من الممكن تغييره. لذا فإنّ قصر مدّة التّحضير جعلت مادّة هذه الجلسة أقرب ما تكون إلى استعراض عامّ لموضوع التّرجمة الآليّة للغة العربيّة منها إلى ورقة علميّة محكمة.

الخطاب:

لقد أضحى من نافلة القول إنّ حوسبة اللّغة مهمّة حضاريّة لازمة لتطوّر اللُّغة ولبقائها، وإنّ حوسبة اللُّغة عمليّة غير منتهية وقابلة للتّطوّر والنّموّ باستمرار ذلك؛ لأنّها في جوهرها محاولة لمحاكاة العقل البشريّ آليًّا، وطالما يتطوّر فهم الإنسان لآليّات عمل العقل البشريّ يمكن تطوير عمليّة الحوسبة، ومن ناحيةٍ أخرى فكلّما تطوّر الحاسوب كان تطوّره مساعدًا لهذه العمليّة.

ولأنّ عمليّة حوسبة اللّغة تنبثق من اللّسانيّات الحديثة الّتي أعادت وصف اللّغة بشكل يمكن حوسبته، فاللّسانيّات أداة ضروريّة لمن يريد أن يعمل في حوسبة اللّغة، واللّسانيّات منهج بحث علميّ في اللّغة وليست بديلاً من اللُّغة. إلا أنّ اللّسانيّات ولسانيّات الحاسوب تحديدًا غائبة عن الدّراسة والتّطبيق في مدارسنا وجامعاتنا.

وثمّة فجوة معرفيّة واضحة بين خريجي الدّراسات اللُّغويّة التُّراثيّة العربيّة وهذا الموضوع وما يتعلّق به من مسائل وقضايا وإشكالات، وحيث إن أهل اللُّغة هم أقدر على معرفتها، ويستطيعون أن يقوموا بصيانتها، ولذا لا بدّ من تحديد دور لدارسي اللُّغة العربيّة ولخريجيها والمشتغلين فيها؛ كي يكونوا جزءًا من هذه الحركة وهذا الواقع.

ومن السّهل طرح مبرّرات لهذا الدّور، فهو يأتي من باب الإسهام في الحفاظ على هذا التّراث وإحيائه وسط تموّجات العصر الّتي تعلوه وتطغى عليه وتحاول إقصاءه بإقصاء لغته العربيّة، ومن باب السّير على نهج النّحاة الأوائل عندما اتّصلوا بالرّياضيّات والمنطق وسائر العلوم الأخرى، وصبّوها في قالبهم وصقلوها بطابعهم؛ لتفرز منهجًا جديدًا متميّزًا في وصف العربيّة وتقديمها لمن بعدهم، ولا

يكون هذا ممكنا في زمننا إلا من خلال إعادة الاتّصال بهذه العلوم متجلّية في علم الحاسوب واللّسانيّات وتوظيفها لخدمة العربيّة ؛ كي تظهر في ثوب جديد يشهد بصلاحيّتها لكلّ زمان ومكان.

والتّرجمة الآليّة واحدة من الغايات القصوى لحوسبة اللّغة، إذ إنها تأتي ثمرةً لتحقّق ما يسمّى بالفهم الآليّ للّغة. ولا تستطيع الآلة أن تحوّل نصًّا من لغة إلى أخرى من دون تحليل هذا النّصّ إلى عناصر تكوينه ، ثمّ بناء النّصّ المقابل في اللُّغة الأخرى.

لماذا نحتاج إلى ترجمة آليّة؟

نحتاج إلى ترجمة آليّة لأنّنا ببساطة إذا علّمنا شخصًا بلغته فقد نقلنا العلمَ إلى تلك اللّغةِ ، أمّا إذا علّمناه بلغةٍ أخرى فإنّنا لم نفعلْ شيئًا سوى أنّنا نقلْنا ذلك الشّخصَ إليها. ونحن لم نعد ننتج من العلم في بلادنا إلا القليل إن كنّا نفعل، والكثير الكثير ينتج خارج أرضنا وبلغات غير لغتنا.

ثمّ هل يمكن لنا أن نتخيّل حجم التّراث الفكريّ الإنسانيّ المتراكم حتّى هذه اللّحظة؟ وهل من الممكن . فعلاً. حصر المستجدّات على هذا التّراكم سنويًّا أو حتّى شهريًّا واستيعابها، مع العلم بأنّ سرعة إنتاج المعرفة تزداد أضعافًا مضاعفة كلّ عدّة أشهر كحصيلة لتطوّر البحث العلميّ وفي ظل ثورة المعلومات ووسائل الاتّصالات، ولا أدلّ على هذا الكمّ من بعض الأرقام الّتي ظهرت هذا العام و بدت لنا في منتهى الكبر لكنّها ستبدو خلال سنوات قليلة أرقامًا بسيطة.

إنّ كمّيّة المعلومات المتداولة عبر شبكة الإنترنت في جميع أنحاء العالم

سوف تقفز إلى 1,5 مليار تيرابايت في العام 2009، أي 1,5 وأمامها واحد وعشرون صفرًا، فإذا كان كل بايت يمثّل حرفلًوإذا كانت صفحة الكتاب تتكوّن في المتوسّط من 2000 حرف، فإنّ هذا يعني على سبيل التّمثيل تبادل 75 مليون مليار صفحة كتاب.

وقد أعلنت شركة جوجل أنّها تمكّنت من فهرسة تريليون صفحة من 26 بليون موقع وجدت على شبكة الإنترنت منذ ظهور الشّبكة حتّى شهر تموز/يوليو 2008 ويأتي ذلك في سياق غاية الشّركة المعلنة جعل محرّك البحث جوجل أرشيف البشريّة وتراثها الفكريّ.

فإذا تساءلنا كم صفحة من هذا باللُّغة العربيّة؟ وكم من هذه الصّفحات يحمل قيمة معرفيّة علميّة مفيدة ؟ كانت الإجابة من شركة جوجل أيضًا أنّ كلّ المحتوى العربيّ يمثّل 0.00016 من محتوى الشّبكة الحالي ، فهل هذا هو ثقلنا المعرفيّ مقارنة بأرشيف البشريّة وتراثها الفكريّ؟

لماذا نحتاج إلى ترجمة آلية ؟ سؤال تسهل الإجابة ع نه في ظلّ هذه المعلومات، فنحن بحاجة إلى الوقت كي ندرك ما فات وما يجري الآن من حولنا ، كما أننا نحتاج إلى سرعة الإنجاز وتوفير الوقت والجهد ، إضافة إلى الحاجة لدقّة التّرجمة والاطّراد في ترجمة المصطلحات والاستفادة من مصادر المعرفة المختلفة.

هل يمكن لنا أن ننتج كمّيّة من المحتوى المفيد معرفيًّا وعلميًّا تغنينا عن المحتوى الموجود في العالم؟ أم هل نستطيع أن نكتفي بالمحتوى الموجود لدينا؟ إذن لا بدّ لنا أن نترجم.

- أين انتهى العاملون عليها؟

(نموذج من جوجل)

وفّرت شركة جوجل خدمة التّرجمة الآليّة المجّانيّة على موقعها وسمّتها التّرجمة التّلقائيّة، وقد أرفقت مع هذه الخدمة شرحًا تعريفيًّا بها وبالتّقنية المستخدمة للوصول بها إلى هذا المستوى ، وقد قمت بعرض هذا الشّرح واختبرته نموذج اً لواحدة من مدرستين رئيستين في التّرجمة الآليّة المتداولة عالميًّ ا، مع أنّ هذه المدرسة هي الشّائعة حاليًّ ا من حيث الاستخدام تجاريًّ ا وتركُّز الأبحاث فيها. ونقتبس ما يأتي من موقع جوجل:

ما هي "التّرجمة التّلقائيّة"؟

هي التّرجمة الّتي يتمّ إنتاجها بأحدث تقنية دون تدخّل المترجمين البشريّين وغالبًا ما يشار إلى التّرجمة التّلقائيّة باسم التّرجمة الآليّة أيضًا.

هل قامت جوجل بتطوير برنامج التّرجمة الخاصّ بها؟

نعم، قام فريق أبحاث جوجل بتطوير نظام التّرجمة الإحصائيّ لأزواج اللُّغات المتوافرة حاليًا على خدمة جوجل للتّرجمة.

ما هي التّرجمة التّلقائيّة الإحصائيّة؟

تمّ تطوير معظم نظم التّرجمة الآليّة التّجاريّة المتطوّرة حاليًّ ا باستخدام منهج يستند إلى القواعد، حيث تتطلّب هذه الطّريقة المزيد من العمل لتعريف المرادفات وقواعد النحو.

ولكنّ النّظام الخاصّ بنا يتبع أسلوبًا مختلفًا: حيث نقوم بتغذية (الكمبيوتر) بالمليارات من الكلمات المضمّنة في جُمل وعبارات تتضمن كلاً من النّصّ الأصليّ في اللُّغة المستهدفة، ونصاً موازياً يحتوي على أمثلة من التّرجمات

البشريّة بين اللُّغات، ومن ثمّ نقوم بتطبيق تقنيات التّعلّم الإحصائي لإنشاء نموذج ترجمة، ولقد حقّقنا نتائج جيّدة جدًا في تقييمات الأبحاث.

. ما هي اللُّغات الّتي يمكن التّرجمة منها وإليها؟

الألمانيّة

اليونانيّة

الهنديّة

الإيطاليّة

الكوريّة

اليابانيّة

النّرويجيّة

البولنديّة

الرّومانيّة

الرّوسيّة

الإسبانيّة

السّويديّة

. توفّر جوجل حاليًّا أزواج اللّغات الآتية:

العربيّة

البلغاريّة

الصّينيّة (المبسطة)

الصّينيّة (التّقليديّة)

الكرواتيّة

التّشيكيّة

الدانماركيّة
الهولنديّة
الفنلنديّة
الفرنسيّة
البرتغاليّة

هل يمكن جعل التّرجمة أكثر دقّة؟ إذ إنّ جودتها ليست على المستوى المطلوب.

نعمل دومًا على تحقيق ذلك، إلا أنّ أكثر البرامج تطوّرًا في وقتنا الحالي لم تصل إلى طلاقة المتحدّث الأصليّ أو تمتلك مهارة المترجم المحترف ، إنّ التّرجمة التّلقائيّة صعبة للغاية، حيث يعتمد معنى الكلمات على السّياق المستخدمة فيه. ورغم أنّنا نعمل على حلّ المشكلة، إلا أنّ ذلك قد يستغرق بعض الوقت قبل أن يتمكّن أي شخص من توفير خبرة ترجمة سريعة ومتقنة، وفي هذه الأثناء، نأمل أن تكون الخدمة الّتي نقدّمها لك مفيدة لأغلب الأغراض.

ومن أجل تحسين الجودة أيضًا، نحتاج إلى كمٍّ هائل من النّصوص ثنائيّة اللّغة ، وإذا كانت لديك كمّيّات كبيرة من النّصوص ثنائيّة اللّغة أو النّصوص متعدّدة اللّغات وترغب في المشاركة معنا، فيرجى إبلاغنا ". نهاية الاقتباس من موقع جوجل.

وقد قمت بتجربة هذا المترجم باستخدام نصوص من القرآن الكريم والشّعر العربيّ العموديّ الحديث والشّعر الإنجليزيّ ومن الأخبار، وكانت النّتائج كما يأتي:

النّصّ العربيّ	الترجمة الإنجليزية
وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل	What Muhammad Rasul had not previously before the Apostles
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم	Lavan died or were killed for the punishment overturned
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئا	It is turning the obstacles God nothing will harm
وسيجزي الله الشّاكرين	Jezzine God and thankful
كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي	God wrote for the majority and I Arslan
من أجل عينيك عشقت الهوى	For your eyes fell in Love
بعد زمان كنت فيه الخل	After which time you vinegar
وأصبحت عيني بعد الكرى	The eyes after Cree
تقول للتسهيد لا ترحل	According to Tsuhad not deport

النّص الإنجليزيّ	التّرجمة العربيّة
What is this life if full of care	وما هي هذه الحياة إذا كانت الرعاية الكاملة لل
We have no time to stand and stare	وليس لدينا أي وقت إلى الوقوف والتحديق
A poor life this if, full of care,	فقير إذا كان هذا الحياة ، والرعاية الكاملة لل
An official source said that the university president will announce the new budget for scientific research this year, an increase of up to 50% over the previous year	صرّح مصدر مسؤول أن رئيس الجامعة سيعلن الميزانية الجديدة للبحث العلمي لهذا العام بزيادة تصل إلى 50% عن العام السابق
An official source said that the university president will announce the new budget for scientific research this year, an increase of up to 50% over the previous year	وقال مصدر رسمي إن رئيس الجامعة سيعلن الموازنة الجديدة للبحث العلمي هذا العام ، أي بزيادة تصل إلى 50 في المائة عن العام السابق

ويتّضح من النّصوص السّابقة وما قُدّم على أنّه ترجمة لها أنّه في الحقيقة ليس ترجمة، وأنّ ما يقوم به هذا البرنامج هو البحث في ذاكرته عن نصوص مشابهة لما يعرض عليه، بحيث تكون لها ترجمات مخزّنة مسبقًا واستخدام هذا المخزون كترجمة للنُّصوص المعروضة.

ومع ذلك فإنّ هذه الطّريقة هي المنتشرة عالميًّا في الوقت الحاضر، وتجري الأبحاث لتحسين نتائجها من خلال دراسات الإحصاء اللُّغوي أساسًا، ثمّ من خلال مزج بعض عناصر الطّريقة الأخرى الّتي تعتمد التّحليل والتّركيب للنّصوص بناءً على القواعد اللّغويّة والمعاجم الآليّة.

كيف يترجمون آليًّا؟

تصّنف نظم التّرجمة الآليّة وفقاً لِلطُّرق الأساسيّة في بناء نظمها إلى ما يأتي:

التّرجمة الآليّة المباشرة: نظم الجيل الأوّل

وتقوم على تنفيذ التّرجمة كلمة بكلمة من خلال المقارنة المعجميّة المباشرة في قاموس ثنائيّ اللّغة. وهذه الأنظمة تفتقر إلى التّحليل العميق لمكوّنات الجمل ، وهي عادة ما تعمل بين لغتين وباتّجاه واحد.

التّرجمة الآليّة الوسيطيّة: نظم الجيل الثاني

وتعتبر أولى طرق التّرجمة الآليّة غير المباشرة ، وكان هدفها هو إيجاد لغة وسيطة واحدة لكلّ لغات العالم، بحيث تمثّل المعاني بين أكثر من لغة في نماذج وبنى وسيطيّة مشتركة ما يسمح بتصميم النّظم متعدّدة اللُّغات.

وتعمل هذه الطّريقة من خلال تحليل نصّ اللّغة المصدر ونقله إلى نماذج وبنى ممثّلة في اللُّغة الوسيطة، ثمّ توليد نصّ إحدى اللُّغات الهدف انطلاقاً من هذه البنى والنّماذج الوسيطة، ومن صفات التّمثيل الوسيطيّ أنّه يشمل كلّ المعلومات لتوليد النّصّ الهدف من دون الرُّجوع للنّصّ المصدر ، ويعتبر تمثيلاً مجرّدًا للنّصّ المصدر والنّصّ الهدف في الوقت نفسه، كما يعتبر تمثيلاً حياديًّا بين اللُّغات المختلفة.

وقد واجه هذا الاتّجاه صعوبات هائلة بل استحالة في تعريف اللّغة الوسيطة الواحدة، بل واجهتها صعوبات حتّى في تعريف اللّغة الوسيطة للغات من عائلة واحدة ؛ وذلك لوجود الاختلافات الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة بين اللّغات من العائلات اللُّغويّة المختلفة.

التّرجمة الآليّة التّحويليّة: نظم الجيل الثّالث

هذه النّظم تستخدم لغتين وسيطيّتين لترجمة نصّ مصدر إلى نصّ هدف ؛ لغة وسيطة تتعلّق فقط باللّغة المصدر لتمثيل أيّ نصّ مكتوب بها ، ولغة وسيطة تتعلّق فقط باللّغة الهدف لتمثيل أيّ نصّ مكتوب بها ، وتعمل من خلال عمليّات متتالية هي:

التّحليل: تحويل النّصّ المصدر إلى بنية وسيطة مصدر.

التّحويل: نقل البنية الوسيطة المصدر إلى مكافئتها الهدف.

التّوليد: استخراج النّصّ الهدف انطلاقاً من البنية الوسيطة الهدف.

وقد تميزت هذه النظم بميّزات أهمّها:

- التّغلّب على استحالة تعريف لغة وسيطة شاملة لكل اللّغات تحتفظ بميزة الحياديّة والاستقلاليّة عن هذه اللُّغات.
- التّغلّب على تعقيدات برمجة التّحليل والتّوليد الّتي تتعامل مع بنى وسيطة مجرّدة وبعيدة عن المميّزات المحدّدة للُّغات.

مستقبل التّرجمة الآليّة العربيّة:

نظرة تاريخيّة:

ناقش علماء بريطانيُّون عام 1949م استعمال الحاسب الآليّ لخدمة التّرجمة باعتماد طريقة البطاقات المثقوبة لإنتاج الكلمات الخامّ لترجمة الملخّصات العلميّة ، وكانت الحرب العالميّة قد أظهرت الحاجة للتّرجمة الآليّة الفوريّة ، فعقد أول مؤتمر حول التّرجمة الآليّة عام 1952م، وكان أوّل مشروع للتّرجمة الآليّة في جامعة جورج تاون بالتّعاون مع شركة IBM عام 1954م، وتمّ تجربة المشروع بوساطة عيّنات مختارة من 49 جملة روسيّة لترجمتها إلى اللُّغة الإنجليزيّة؛ وبوساطة مفردات محدودة مكوّنة من 250 كلمة و6 قواعد فقط.

تعاونت القوات الجوّيّة الأمريكيّة مع شركة IBM لبناء نظام متكامل للتّرجمة الآليّة بين اللُّغة الفرنسيّة والإنجليزيّة ، وخلال الفترة من عام 1955 حتّى عام 1966 أنفقت الحكومة الأمريكيّة 20 مليون دولار في دعم أبحاث التّرجمة الآليّة ، ثمّ توصّلت اللّجنة الاستشاريّة للمعالجة الآليّة للُّغات الحيّة في أمريكيا عام 1966م إلى أنّ التّرجمة الآليّة بطيئة جدًّا وقليلة الدّقة ومكلّفة بمقدار الضّعفين أكثر من التّرجمة البشريّة، ولذلك ليست هناك فائدة مجدية من التّرجمة الآليّة ، لكنّ التّقرير طالب بتوجيه الدّعم إلى أبحاث علم الحاسوب ولسانيّات الحاسوب.

وبين عامي 1970م و1980م ظهرت العديد من الأنظمة للتّرجمة الآليّة اعتمدت في أغلبها على خبرات جامعة جورج تاون في هذا المجال ، ومن هذه الأنظمة الّتي تترجم بين اللُّغات آليًّا كانت بين الإنجليزيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة والإنجليزيّة والألمانيّة وغيرها، وزادت الحاجة إلى التّرجمة الآليّة، ومثال على ذلك أنّ كندا تستعمل اللُّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة كلغات رسميّة ما جعل التّرجمة الآليّة مهمّة جدًّا لها كما أنّ الاتّحاد الاقتصاديّ الأوروبيّ صار يطلب

ترجمة المستندات العلميّة والتّقنيّة بين اللُّغات الأوروبيّة.

وفي أوائل 1980م ظهرت تقنية علم الذّكاء الاصطناعيّ ف اربفع مستوى التّرجمة الآليّة، ووضعها أخذ منحًى جديدًا، واستخدمتها في أوائل مشاريع التّرجمة الآليّة شركة (فيليبس) الهولندية، ثمّ انتشر استخدامها بشكل كبير في شركات الحواسيب اليابانيّة ، وأدّى إلى ظهور نظام التّرجمة الآليّة اليابانيّة بين اليابانيّة والإنجليزيّة بوساطة جامعة كيوتو.

المشروعات العربيّة الحديثة:

الأنظمة العاملة والمتوافرة حاليًّا في الأسواق هي:

(1) نظام "المترجم العربي" الذي طوّرته شركة ATA في لندن، ولدى الشركة المذكورة فرع في مسقط بعُمان.

(2) نظام "عربترانز"، وقد طوّرته شركة عربيّة أيضًا في لندن، وكان متوافرًا في الأسواق العربيّة.

(3) نظام "النّاقل العربيّ" الّذي طوّرته شركة سيموس العربيّة في باريس، وهذا النّظام أكثر الأنظمة طموحًا، حيث لدى الشركة المذكورة أربعة برامج للتّرجمة بين الإنجليزيّة والعربيّة وبين الفرنسيّة والعربيّة – برنامج لكلّ اتّجاه.

(4) نظام شركة أبتك Apptek، وهي أيضًا شركة عربيّة تعمل في إحدى ضواحي واشنطن.

(5) الوافي، وهو برنامج مختصر كما يبدو من المترجم العربيّ.

(6) المسبار، وهو أيضًا مشتقٌّ أساسًا كما يبدو من "المترجم العربيّ". وهو متاح

على الإنترنت.

(7) "عجيب"، وهو من إنتاج شركة العالميّة، ويعمل على الإنترنت.

(8) هناك عددٌ آخر من البرامج الّتي تنتسب إلى التّرجمة الآليّة أو تزعم بأنّها برامج للتّرجمة الآليّة، بدأت تغزو الأسواق العربيّة، غير أنّ كثيرًا منها يفتقر إلى البرمجة المتطوّرة، مثل المترجم الكافي، والمترجم الذّهبي والمترجم الفوري وغيرها.

وبمراجعة التّجارب الغربيّة والشّرقيّة في أمريكا وأوروبا وآسيا نجد أنّ الدّول والمؤسّسات هي من يتولّى دعم أبحاث التّرجمة الآليّة وحوسبة اللُّغات القوميّة ، بينما تتمّ المبادرات في العالم العربيّ من باحثين أفراد أو شركات ، ونظرًا للدّعم المحدود للعقول العربيّة في بلدانها يتوجّه العديد من هذه العقول إلى الشّركات في الدّول الأجنبيّة بحيث صارت أغلب التّجارب في التّرجمة الآليّة للّغة العربيّة تجري في تلك البلدان . وقد زاد الاهتمام باللّغة العربيّة بعد الأحداث العالميّة الأخيرة ، وبالتّالي زاد الإنفاق على أبحاث حوسبتها في أمريكا وأوروبا.

وقد أدّى ظهور الحلول الفنّيّة الّتي تعتمد الإحصاء إلى جعل هذه الحلول قابلة للتّطبيق على اللّغات المختلفة من دون الحاجة إلى اللُّغويّين ، إلا في حال الرّغبة في الوصول إلى دقّة في التّرجمة فيتطلّب تدخّلهم. وهذا ما مكّن شركة مثل جوجل من تطوير برنامج ترجمة متعدّد اللّغات خارج الإطار القومي أو الوطني لأي لغة ومن خلال الاعتماد على أقلّ عدد ممكن من أهل تلك اللّغة.

مستقبل حوسبة اللّغة العربيّة خارج الإطار العربيّ:

أبعاد الواقع:

إنّ ما ينطبق على التّرجمة الآليّة ينطبق كذلك على الحوسبة بشكل عامّ، ففي ظلّ غياب التّبنّي لهذه القضيّة على المستويين الدّيني والقومي، يبقى مستقبل حوسبة اللُّغة العربيّة مرهونًا بجهود الآخرين، ومع ذلك فإنّ ثمّة قضايا لم تزل تمثّل تحدّيات تواجه مستقبل حوسبة اللّغة، نظنّ أنّ أهل اللّغة وحدهم هم القادرون على حلّها، ومن هذه التّحدّيات حلّ إشكاليّات مصادر اللّبس في اللّغة مثل:

- التّطوّر.
- الفيض المعلوماتيّ والتّفاعل بين اللُّغات.
- التّعامل مع العربيّة غير المشكولة.
- قابليّة المفردات اللُّغويّة للعمليّات الإلصاقيّة.
- غياب علامات التّرقيم.
- ظاهرة التّحوّل الدّلاليّ.
- اللّبس النّاتج عن التّعقيد التّركيبيّ لبعض الجمل.
- أخطاء في استعمال اللّغة.
- طبيعة الجملة العربيّة في ترتيب مكوّناتها ما يجعل من الصّعب التّيقّن من المعنى المقصود إلا في نهايتها.

إنّ من المؤسف أنّه لا توجد . إلى الآن . جهة قادرة في العالمين العربيّ والإسلاميّ تأخذ موضوع حوسبة اللّغة على محمل الجدّ، وتوليه ما يستحقّ من الاهتمام كلغة للأمّة بما تحمله هذه العبارة من معان وأبعاد. ولعلّه لم يبق أمام المهتمّين بحوسبة اللُّغة العربيّة إلا أن يقوموا بجهود دعويّة لقضيّتهم تتمثّل في:

أ. حشد الجهود لإقناع الجهات القادرة كي تتبنّى هذه القضيّة.
ب. إعداد مشاريع قابلة للتّحقق ومقنعة علميًّا لتقديمها لتلك الجهات.
ج. توجيه أساتذة الجامعات أبحاثهم وطلابهم نحو هذا الموضوع.

د. إدخال مناهج البحث اللّغويّ العلميّ الحديثة إلى الجامعات العربيّة.

هـ. إيجاد وعي لدى عامّة النّاس بأهمّيّة هذه القضيّة في النّهوض الحضاريّ.

التّعقيبات والمناقشات

- عقَّب **الدّكتور جعفر عبابنة** على هذه المحاضرة بقوله إنَّ التَّرجمة الآلية تحتاج إلى معجم آليّ له خصائص وسمات مخالفة للمعجمات التّقليديّة الموجودة حاليًّا، حيث يقوم على وصف الملامح المعنويّة والتّركيبيّة لكلّ عنصر من عناصر اللُّغة، ويُقصد بالملامح المعنويّة (semantic feature) ، مثل أب – ذكر – مذكّر – عامل – منتج – قادر على الفعل، ذكر في الطّبيعة، مذكّر في علاقاتٍ نحويّة، عاقل... منتج لمّا كان أبًا... أو أنثى – مؤنّث – عاقل – منتجة ....إلخ.

أمَّا الخصائص التّركيبيّة فقد أوضح الدّكتور جعفر أنّها تعني تقنيات الرَّصف والتّركيب في الجملة مثل الحروف ومواضعها قبل الاسم، بعد الفعل، البنى الصّرفيّة الملائمة لملء الخانات النّحويّة، وهذا مهمٌّ جدًّا في التّرجمة الآليّة، فأكل تحتاج إلى أن يكون الآكل قادرًا على المأكول، والمأكول صالحٌ للأكل... فالمعجم الآليّ مثلاً لا يسمح بترجمة جملة أرضع الأبّ ابنه، ولكن يقبل جملة أرضعت الأمُّ ابنها.

وتعقيبًا على رأي الدّكتور حامد صادق قنيبي أنّ التّقنيات ينبغي أن تضبط بكسر التّاء، قال الدّكتور جعفر: إنّ التّقنيات بالفتح أصحّ لأنَّها مصدر تَقَن فَعَل تفعِلَة، وليس في الأوزان المشتقّة وزن تَفْعِلة، والأصحّ منهما تِقانات، فتِقانة على وزن فِعالة الخاصّ بالحرفة.

- ذكر **الدّكتور مأمون جرّار** في مفتتح تعقيبه على هذه المحاضرة أنَّ ضعف نسبة المحتوى العربيّ في (google) إلى المستوى العامّ يدلُّ على الكسل

العربيّ، فالعرب الآن في حالة اتّكاليّة على الآخر وينتظرون أن يسخّر الله لهم الغرب لتطوير قضيّة التّرجمة الآليّة وغيرها... ومن الجدير بالذّكر أنّ كثيرًا من الطّلبة لا يعرفون أنّ هناك مواقع عربيّة تحوي المعاجم والقواميس والتّرجمة وغير ذلك ممّا هو ضروريّ لتطوير مهاراتهم اللُّغويّة.

ثمّ وجّه أسئلة للمحاضر أوّلها: ما دور اللُّغويّين العرب في خدمة اللُّغة في مجال الحوسبة نسبةً إلى المعلوماتيّين؟ وثانيها: ما دور مجامع اللُّغة العربيّة الحالي وما المطلوب منهم في مجال الحوسبة الآليّة؟ وثالثها: هل هناك مجال لطلب خلوةٍ مع أصحاب القرار لإقناعهم بأهمّيّة اللُّغة وتعريب التّعليم الجامعيّ؟ فأصحابُ القرار ليسوا موصدي الأبواب أو موصدي الآذان أمام الواعين، ثمّ أشار إلى ما ورد في حديث المحاضر من تقويم لترجمة (google) ، متسائلاً لِمَ لم يتمّ إعطاء تقويم لترجمة صخر والوافي... أمّا فيما يتعلّق بالتّمويل فالخير موجود في هذه الأمّة، لكنّ المطلوب معرفة كيف نصل إلى أصحاب المال.

- أشار **السّيّد محمّد حرب** إلى قول المحاضر إنّ حجم المحتوى العربيّ حسب إحصاءات جوجل يعادل 0.016 من حجم المحتوى العالميّ، ذاكرًا أنّ هذه النّسبة ليست دقيقة ولا تعبّر بشكلٍ دقيقٍ عن المحتوى الحقيقيّ لجوجل باللُّغة العربيّة، فكما هو معروف أنّ محتوى (google) يعتمد على جانبٍ تجاريّ أكثر ممّا هو جانب تقنيّ، فالمحتوى يخضع للتّغيير المستمرّ تبعًا لتغيُّر الرّوابط المدرجة في المواقع، ومن الملاحظ أنّ كثيرًا من أصحاب المواقع العربيّة لم يقوموا بإدراج مواقعهم في محرّك البحث (google).

أمّا فيما يتعلَّق بحوسبة اللُّغة العربيّة فقد رأى أنّ خدمة لغتنا العربيّة بالشّكل المرجوّ تستدعي أن نبدأ من الصّفر كما بدأ الغرب، ونقوم بعمل آليّاتٍ وبرمجيّاتٍ

خاصّة بلغة الآلة واللُّغة التّجميعيّة، لا أن نعتمد على أمورٍ بُنيت لتخدم الغرب ولغته، ولن تحقّق لنا ما نريده من دقّة في التّرجمة، كما ذُكر في المحاضرة أنّ التّرجمة قد تكون دقيقة في الأخبار والأعمال وغيرها من أُمور محدودة وتجافي الدّقة في الأُمور التّراثيّة والدّينيّة وهي الأهمّ.

- تحدّث **الدّكتور فوّاز الزّغول** عن إيجابيّات التّكنولوجيا موضحًا أنَّ التّكنولوجيا ساهمت في وجود مصادر تعلُّمٍ عديدة... فالآن نستطيع الحصول على المعلومة بسرعةٍ فائقة قياسًا مع الزّمن الماضي الّذي كان الشّخص فيه يسير مسار السّنة والسّنتين للحصول على معلومةٍ ما... كما أنّ الحصول على المعلومة في الوقت الرّاهن لا يكلّف شيئًا... ونلحظ أيضًا أنّنا بوساطة الشّبكة العنكبوتيّة والبريد الإلكترونيّ تعدَّينا الحدود وتشكّلت بيننا وحدةٌ عربيّة، وهذه التّقنيات والفضائيّات المتعدّدة مَنَحت الإنسان العربيّ ثقافةً، فأصبح أكثر وعيًا من السّابق... وبناءً على ما سبق أكّد الدّكتور فوّاز ضرورة توظيف التّكنولوجيا في خدمة التّرجمة الآليّة خاصَّة مع توافر الدّعم الماديّ الّذي أشار إليه المحاضر بذكره المؤسَّسات التي يمكن أن تدعم حوسبة اللُّغة العربيّة حاليًّا، ولذا اختتم تعقيبه بدعوة المجمع أن يأخذ بتوصية الاتّصال بالجهات الدّاعمة.

- تساءل **الدّكتور حامد صادق قنيبي** في معرض تعقيبه على هذه المحاضرة عن كيفيَّة تعامل (google) عند التّرجمة الآليّة من لغة عصر شكسبير إلى اللُّغة الإنجليزيّة المعاصرة، وكيف يتعامل (google) أيضًا عند التّرجمة من لغة عصر شكسبير إلى اللُّغة العربيّة المعاصرة؟! وأضاف قائلاً: إنّ اللُّغة العربيّة المعاصرة أطوع في التّرجمة الآليّة من اللُّغة القديمة الكلاسيكيّة، ودليلُ ذلك الصُّعوبة الّتي واجهتنا حين تُرجمت نصوصٌ من القرآن الكريم ومن

الشَّعر العربيّ القديم، موصيًا بضرورة العناية باللُّغة العربيّة المولّدة الحديثة، بحيث توجّه الدّراسة في برامج الأدب العربيّ إلى العصر الحديث، فيتمّ البدء بدراسة الأدب العربيّ الحديث واللُّغة العربيّة الحديثة، ثمّ تدرّس عصور الأدب العربيّ وتاريخه... إلى أن يصل الطّالب إلى دراسة العصر الجاهليّ ، ويكون ذلك بعد الحصول على ذخيرة من اللُّغة العربيّة المتداولة تُعينه على فهم اللُّغة التُّراثيّة القديمة.

- أورد **السّيّد عاطف عبد العزيز** ملاحظته على توقيت انعقاد الموسم الثقافيّ لمجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ، محبِّذًا أن يكون في يوم عطلة أو شبه عطلة حتّى يتمكّن الموظّفون جميعًا من الحضور، ثمّ أشار إلى قول الدّكتور عبد الجليل إن من يختار الفرع الأدبيّ فئة قليلة ذاكرًا أنّها فئة أكبر ممّن يختار الفرع العلميّ في دراسة الثّانويّة، ولكنّ الّذي يختار دراسة اللُّغة العربيّة في المرحلة الجامعيّة قد يكون اختياره رغمًا عنه، بعد أن فشل في الحصول على مجموع علاماتٍ يؤهّله للدّخول في التّخصّصات الأخرى، وهذا أمرٌ يُوجب عقد امتحانٍ لمن أراد أن يتخصّص باللُّغة العربيّة، يصنّف على أساسه الرّاغب في دراسة اللُّغة العربيّة والمتمكّن منها ليُعْطى حقّه أملاً في أن يقوم بخدمة هذه اللُّغة الّتي أحبّ دراستها.

وقد رأى أنّ الآلة لا تستطيع ولن تستطيع أن تنوب عن العنصر البشريّ، فمهما تطوّرت هذه التّقنيات – بالفتح أو الكسر إذ لا فرق بينهما– لن تتمكّن من وصف جمال اللُّغة العربيّة، فالعنصر البشريّ يستعمل هذه الجماليّات ويعرفها وهو يعدّل ويصحّح ما تنتجه الآلة، وحبّذا لو عمل المجمع على تسلّم التّرجمات الآليّة وقام بتصحيحها قبل نشرها وشيوعها.

- توجّه **الدّكتور محمّد بطّاز** في بداية تعقيبه بتقديم الشُّكر للمجمع الأردنيّ الّذي نظّم هذه النّدوة المهمّة، وللمحاضر الّذي قدّم معلوماتٍ دقيقةً وغنيّةً جدًّا عن التّرجمة الآليّة، وما يخصّ اللُّغة والبِنَى، موضحًا أنّ الأفكار الّتي ذُكرت في المحاضرة ما تزال مطروحة على مستوى ما يسمّى الآن "بأزمة البرمجيّات" فالبرمجيّات رغم تطوُّرها وإفادتنا منها إلا أنّها تعيش أزمة، وتكمن هذه الأزمة في التغيُّر المستمرّ للبرمجيّات وصعوبة أن نترجم – حتّى ترجمة آليّة– برنامجًا حاسوبيًّا يعطينا النّتائج المرجوّة من بنائه، كما أنّ من يقتني برنامجًا يتجشّم ما لا يريده، فهو يطلب شيئًا ما ويأتيه شيء آخر، ومن الممكن أن يأتيه حلٌّ لمبتغاه ويُصاحب هذا الحلّ حلولٌ كثيرة يدفع ثمنها... ثمّ أشار إلى أنّ التّجربة الّتي ذكرها المحاضر كانت موجودة على مستوى البرمجة، فاستُخدمت التّقنيات بما في ذلك الذّكاء الصّناعيّ... والآن تمّ اللُّجوء إلى منهجيّة أخرى ترتكز على أفكار عربيّة محضة مُستندة للمدرسة الجبريّة الّتي لم تقتصر على النّحو، ولكن أتت بما يسمّى (semantics) وهي علوم الدّلالة، واللُّغة العربيّة لغة دلاليّة تترجم وفقًا لمفاهيمها وخلفيّاتها الخاصّة بها، فالغرب الآن توجّه لحلّ أزمة هندسة البرمجيّات بصفة عامّة والبنى بصفة خاصّة.. وقد رأى أنّ الإفادة من المدرسة الجبريّة في التّرجمة الآليّة أمرٌ ينبغي التّنبه إليه، فترجمة اللُّغات أعمق وأعقد من ترجمة برنامج حاسوبيّ.

ثم دعا إلى الاهتمام بالتّرجمة من اللُّغات الأجنبيّة إلى اللُّغة العربيّة بغية نقل علومهم إلى العرب بالسُّرعة الممكنة... أمّا التّرجمة من اللُّغة العربيّة إلى اللُّغة الأجنبيّة فهي مطلبٌ عند الغرب لأنّه يريد أن يفهمنا أكثر.

- أبدى **الدّكتور يوسف بكار** استياءه ممّا يحدث في التّرجمة البشريّة من أخطاء عديدة، مشيرًا إلى أنّ الإيطاليّين كانوا على صوابٍ كبيرٍ عندما قالوا بحكمتهم

المشهورة: التّرجمة خيانة والمترجم خائن، وهذا في التّرجمة البشريّة، فكيف سيكون الأمر إذا كانت التّرجمة آليّة؟!.

وقد أوضح الشّروط الواجب توافرها فيمن يترجم لكي تكون ترجمته دقيقة، فليس كلُّ من يعرف لغةً يستطيع أن يترجم، فكثيرون يعرفون اللُّغات الأجنبيّة لكنّهم لا يجيدون لغتهم، فهؤلاء لا يتوقَّع منهم أن يترجموا بدقّة، مشيرًا إلى آراء الجاحظ في التّرجمة وذلك في القرن الثّالث حيث أوضح ضرورة أن يكون علم المترجم في اللُّغة الّتي يترجمُ منها (أي لغة المصدر) كعلمه تمامًا باللُّغة الّتي يترجم إليها "أي لغة الهدف"، وقد ذكر الدّكتور يوسف أنّنا أُمّةٌ فقيرة في المترجمين ولسنا فقراء في النَّواحي الماليّة أو النّواحي التّقنيّة، معطيًا أمثلةً على ترجمات تجور على اللُّغة العربيّة وتحدث فيها مزالق جمّة، مثل ترجمة الآية الكريمة {وجعلنا اللّيل لباسا} إلى (And made the night trousers)، وهذا جهل بفقه اللُّغة ومجازاتها ومصطلحاتها، فلكلّ لغةٍ من اللُّغات فقهٌ خاصٌّ بها، ويُقالُ مثل ذلك في المثل المشهور في الإنجليزيّة (Burglar killed by Policeman) الّذي ترجم في اللُّغة العربيّة إلى قُتِلَ اللّصُ من قِبَل الشُّرطيّ، وهذا كسرٌ لقاعدة ما لم يسمّ فاعله أو المبنيّ للمجهول، أي أنّ الفاعل غير معروف، فهذه القاعدة غير معروفة في فقه الإنجليزيّة، ولذا شاعت هذه العبارة حتّى على ألسنة المعجميّين، فأصبحنا نستعمل (من قِبَل فلان) في كتاباتنا وأحاديثنا كثيرًا، فنقول: كُتِبَ الدرسُ من قبل فلان، والصّحيح أن نقول: كُتِبَ الدرسُ أو كَتَبَ فلان الدرسَ.

وقد دعا الدّكتور يوسف إلى تخصيص حركة ترجمة موحّدة في المشرق والمغرب مشيرًا إلى البون الشاسع في المجازات والمصطلحات بين مشرق الوطن العربيّ ومغربه، مختتمًا تعقيبه بالإشارة إلى أنّ التّقنيات الحديثة والمعاجم الحديثة وغيرها لا تغني عن التّرجمة البشريّة، وما نسمعه في الفضائيّات والمؤتمرات

الصّحفيّة من ترجمة خاطئة أو من ترجمة حرفيّة سقيمة أو ترجمة غير دقيقة يجعلنا نثق بأنّه لا غنى عن البشر، وليس كلّ البشر، في التّرجمة إذا أردنا الدّقة.

- تحدّث **السّيّد داوود** عن مشروع لغة الشّبكات العالميّة (universal Networking Language) واختصارًا "يو إن إل" "unl" ، الّذي أشار إليه المحاضر، ذاكرًا أنّه تشرّف بإدارة هذا المشروع الّذي يعمل على إزالة الحواجز بين اللُّغات الطّبيعيّة والشّبكيّة، حيث تمّ تطوير الجزء العربيّ له، وهو من أكبر المشاريع الّتي لها علاقة باللُّغة العربيّة، وقد كان هذا المشروع في البداية بتمويلٍ من اليابان ثمّ تبنّته الأمم المتّحدة، والمشروع له مقرٌّ في جنيف إلاَّ أنّه انتقل إلى مكتبة الإسكندريّة بعد عقدها لشراكة مع مؤسّسة لغة الشّبكات الرّقميّة العالميّة، وأفضى ذلك إلى إنشاء مركز إبراهيم شحاتة للغة الشّبكات العالميّة العربيّة بتمويلٍ من الصّندوق العربيّ للتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وهم الآن يقومون بترجمة "موسوعة نظم دعم الحياة" (Encyclopedia of life support systems) المكتوبة بالإنجليزيّة، وقد تبنّت منظمة اليونسكو مشروع التّرجمة، ثمّ أشار إلى أنّ (يو إن إل) هي عبارة عن لغةٍ وسيطة تعمل كوسيط بين اللُّغات الطّبيعيّة، وهي تعتمد على الدّلالة (semantics)، ولم تفشل هذه اللُّغة، كما أنّ أشهرَ أنظمةٍ موجودة في اليابان تعتمد على هذا المبدأ، والآن تمّ الانتقال إلى (google) واستُخدمت الأنظمة الإحصائيّة، ذاكرًا أنّ هذا لا يعني أنّنا وجدنا حلاًّ سحريًّا للتّرجمة الآليّة، فالتّرجمة الآليّة دقّتها بنسبة 50 أو 60%، إذ إنّ الدّقّة في التّرجمة الآليّة بنسبة 100% مستحيلة في الوقت الرّاهن، وهذا ما صرّح به من أدار مشروع التّرجمة الآليّة وصرف أكثر من أربعمئة مليون دولار على مشاريع التّرجمة الآليّة في اليابان، والتّوجّه في العالم الآن إلى استغلال التّكنولوجيا في تعجيل عمليّة التّرجمة وتسريع نقل

المعرفة عن طريق عمل أنظمة تُساعد في هذه المواضيع، داعيًا إلى تبنّي بعض المشاريع الّتي لها علاقة باللُّغة العربيّة الّتي تسمّى لغة ضعيفة الموارد، ولا يعني هذا أنّها ضعيفة البنية بل بنيتها قويّة، لكن لا توجد موارد داعمة لها، مثل وجود معاجم وأدوات مجانيّة لتحليل اللُّغة العربيّة تمكّن الباحثين والمطوّرين من استعمالها، فمن المفترض أن نطوّر أنظمة وموارد تتاح للنّاس جميعًا، وقد أشار إلى أنّه تقدّم ببعض المشاريع المهمّة لكنّه فشل في الحصول على تمويلٍ لها من المنطقة العربيّة.

ثم أُعطيت الكلمة للأستاذ مأمون الحطّاب للردّ على ملاحظات المنتدين وتعقيباتهم، حيث ابتدأ بملاحظة الدّكتور جعفر مشيرًا إلى أنّها ملاحظة قيّمة جدًّا أكّدها السّيّد داوود في تعقيبه، فنحن نعاني من غياب المعاجم الإلكترونيّة في الوطن العربيّ، إضافةً إلى أنّ المعجم التّاريخيّ للغتنا غير موجود، ومعجم الدّلالات أيضًا...، ففي الغرب مشروع ضخم يحتوي كلّ ما يتعلّق باللُّغة الإنجليزيّة أو المفردة الإنجليزيّة على المستوى النّحويّ والدّلاليّ ...، فالعلماء العرب موجودون لكنّ القضيّة من سيتبنّى هذه المشاريع الضّخمة الّتي تحتاج إلى جهود ضخمة جدًّا وطويلة وممتدّة... أمّا سؤال – الدّكتور مأمون جرّار عن دور اللُّغويّين فقد أوضح الأستاذ مأمون الحطّاب أنّ للغويّين دورًا مهمًّا لم يفعَّل بعد،حيث لم يكن لهم – حتّى الآن– دورٌ حقيقيٌّ في عمليّة حوسبة اللُّغة، فالمبادرة بدأت من الحاسوبيّين سواءً أكانوا مبرمجين أم مهندسين، وما زالت في هذا الوضع، علمًا بأنَّ من بدأ هذا الموضوع في الغرب هم اللّسانيّون، مشيرًا إلى أنّ هناك حركة نشطة جدًّا للسانيّين المغاربة أكثر من المشارقة، لكنّ هذه الحركة أثمرت مصطلحات مختلفة كما ذكر الدّكتور يوسف بكّار، وهذه المشكلة أشار إليها الدّكتور الفاسي الفهري، حيث أصبح لدينا ما يسمّى بفوضى المصطلح في مجال "حوسبة اللّغة"، وهذا نلحظه

عند قراءتنا لبعض الكتب المغاربيّة الّتي تحوي مصطلحات للسانيّات خاصّة بأهل المغرب لا تتَّضِح لأهل المشرق رغم أنّ اللُّغة واحدة، وهذه مشكلة كبيرة ناتجة عن غياب التّنسيق الموحّد لمصطلحات اللُّغويّين، إذ إنّ دور اللُّغويّين دورٌ حيويٌّ جدًّا، والآلة مهما استعانت بالوسائل الإحصائيّة لن تصل إلى دقّة من دون الاستعانة باللُّغويّ الّذي يوفّر النّمذجة الرّياضيّة، وهو الأساس الّذي تحوسب اللُّغة على أساسه، ولا يمكن أن يقوم الحاسوبيُّون بهذا الدّور مهما كانوا، إذ لا بدّ من وجود اللُّغويّين.. لكن كيف نفعّل دورهم؟!

وقد ذكر أنّنا يجب أن نبدأ بتغيير النّظرة إلى اللّسانيّات والتّعامل معها وفهمها وتدريسها وتطبيقها من دون خوفٍ من تأثيرها على اللُّغة العربيّة ، وأنَّى لها أن تؤثّر، وهي منهج بحثٍ علميّ ورؤية للّغة كما سمّاها الدّكتور نهاد الموسى، أمَّا بالنّسبة للمصادر في حوسبة اللُّغة فقد أشار السّيّد مأمون إلى أنّ كتب التُّراث ما زالت هي مصادر الحاسوبيّين، وهي كتبٌ صيغت بالمنطق الأرسطي الّذي شاع وقت كتابتها، فتأثر مؤلّفوها بهذا المنطق، وزجُّوه في مؤلفاتهم، وقد وصف فيها علماء اللُّغة لغتهم لغاية تعليميّة، وهذا الوصف يحتاج الآن إلى النّظر فيه لأنّ لغتنا تحتاج إلى إعادة وصفها لتتناسب مع الحوسبة... ثمّ تحدّث عن الظّاهرة الصّوتيّة العربيّة الّتي أشبعها علماؤنا بالدّراسة، فهي ثريّة جدًّا بسبب قراءات القرآن الكريم وعلم القراءات... فعلم الأصوات علم متقدّم جدًّا، لكنّ طريقة وصفه لم تتطوّر مع تطوّر قضايا الوصف للحنجرة والأصوات وما شابه، فمن الواجب أن يجدّد علماء اللُّغة وصفها ويجدوا حلولاً لكثيرٍ من قضاياها.

وردًّا على تعقيب الدّكتور حامد قال الأستاذ مأمون: إنّ برامج التّرجمة الحاليّة لا تستطيع أن تترجم النّصّ الدّينيّ أو النّصّ الأدبيّ داعيًا إلى الانتهاء من هذه القضيّة، فالنّصُّ الدّينيّ له قداسته وقوانينه وسننه، كما أنّ النّصّ الأدبيّ حالة إبداع

وهي تعبيرٌ مطلقٌ عن إنسانيّة الإنسان لا يمكن للآلة أن تفهمها أو تنقلها، مبيّنًا أنّ أقصى ما تستطيع التّرجمة الآليّة الوصول إليه هو ترجمة لغة الأعمال والمال والأخبار والسّياسة، وقد أبدى شكّه في وصول التّرجمة الآليّة على المدى البعيد من ترجمة شعور أو إحساس أو لحظة إبداع إنسانيّ.

المحاضرة الثّالثة

بناء الأجهزة الحديثة وفق خصائص اللّغة العربيّة

الأستاذ الدّكتور محمّد بطّاز

مدير شبكات وأنظمة المعلومات والاتّصال الجامعيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

الجزائر

الاثنين 12 جمادى الآخرة 1429هـ- 16 حزيران 2008م

مقدّمة:

من بين الأشياء المتّفق عليها هو أنّه يصعب فصل الفكر عن اللّغة ، إذ إن اللغة تعبّر عن أسلوب التّفكير لدى الشعوب والأمم، فهي الّتي تمكّنها من نقل أفكارها و آرائها ، وتختلف الأمم بعضها عن بعض في طريقة إيصال معارفها بوساطة اللّغة التي تستخدمها، ومن المعروف عن اللُّغة العربيّة أنّها ابتكرت أسلوب التفكير الجبريّ الذي لعب دورًا مهمًّا في نقل المعارف بين الأمم بصفة عامّة وبين مدارس التّفكير فيما بين بعضها البعض بصفة خاصّة، وفيما يأتي سنتطرّق للدّور الّذي لعبه التّفكير الجبريّ (والّذي يعتبر من أبرز خصائص اللُّغة العربيّة) في بناء الأجهزة (الحاسوبيّة) الحديثة.

الأجهزة المادّيّة والأجهزة البرمجياتيّة والأجهزة الافتراضيّة:

يجدر بالذّكر أنّه إلى منتصف التّسعينيّات كان مفهوم الجهاز في ميدان الحاسوبيّات يرمز إلى التّركيبة المادّيّة (وخاصّة إلى الجانب الإلكترونيّ) للحواسيب، بعد ذلك أصبح هذا المصطلح يستخدم كذلك في ميدان البرمجيّات إذ أصبحنا نتحدّث كذلك عن الأجهزة البرمجياتيّة (في العلاقة مع هندسة البرمجيّات) وكذلك عن الأجهزة الافتراضيّة (آلة جافا الافتراضيّة) .

المدارس البارزة في الرّياضيّات:

تعتبر المدرستان اليونانيّة والعربيّة من أبرز المدارس في ميدان الرّياضيّات والمتمثّلتان في الهندسة والجبر ، وتتميّز المدرسة العربيّة عن زميلتها اليونانيّة بما يأتي:

- وجود علاقة عامّة (مورفيزم) من الأولى إلى الثّانية، ما يمكّن المدرسة العربيّة من التّعبير ع ن المفاهيم المستخدمة في المدرسة اليونانية بوساطة عبارات ومعادلات جبريّة.
- القدرة على ترجمة المعادلات الجبريّة إلى إجراءات (خوارزميّات) ما يجعلها قابلة للمعالجة بوساطة الحاسوب.

لغة الأرقام وبنية الحاسوب:

من المعروف عن الحاسوب أنّه لا يفهم إلا لغة الأرقام وبالذّات ا لأرقام العربيّة ، وهذا يعني بطريقة أدقّ أنّ الأجيال المتتالية للحاسوب ولغات البرمجة وشبكات الحاسوب والتّكنولوجيّات المختلفة المستخدمة لبنائها تعتمد أساسًا على نموذج جبريّ محض ، وهذا يعني بكلّ بساطة أنّه لولا المدرسة العربيّة لما وجد الحاسوب الرّقميّ بالنّمط المعروف حاليًّا على الأقلّ.

الجبر والبرمجة:

يتكوّن أي برنامج حاسوب على وجه العموم من نوعين من التّراكيب: تركيب البيانات وتركيب التّحكّم ، ويعتبر تركيب البيانات تركيبًا تكنولوجيًّا لحاملة تركيبة جبريّة بوساطة ما يعرف بآلة فون نيومان، أمّا تركيب التّحكّم فيمكن اعتباره تركيبًا تكنولوجيًّا للعمليّات المطبّقة على حاملة التّركيبة الجبريّة المذكورة أعلاه بوساطة الآلة نفسها الّتي تعتبر الآلة الوحيدة المناسبة للوضع التّكنولوجيّ الحاليّ ، والدّليل على ذلك التّطوّرات الحديثة الّتي طرأت على لغات البرمجة وأدّت إلى استحداث اللُّغات المسمّاة بالكائنيّة التّوجّه، وقد حدث هذا بعد محاولة استخدام لغات برمجة مبنيّة على نماذج خارجة عن إطار النّماذج الجبريّة ، من بينها (ليس عن طريق الصّدفة) نموذج المنطق الّذي يرجع أساسًا إلى المدرسة اليونانيّة القديمة ، وهذا

بالرّغم من التّرويج الهائل لبعض هذه اللّغات والتّصريحات من بعض الدّول المتطوّرة في ميدان الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات لاستخدامها كلغات الجيل الخامس.

الأنواع المجرّدة والأنواع المجرّدة للبيانات:

تكمن الأنواع المجرّدة بصفة عامّة والأنواع المجرّدة للبيانات بصفة خاصّة في آليّات جبريّة تمكّن من تمثيل الأجهزة (المادّيّة منها والافتراضيّة) بصفة مستقلّة عن التّكنولوجيّات والأدوات وحتّى عن لغات البرمجة الموظّفة لبنائها ، ولهذا يمكن استعمال هذهالآليّات في مرحلة التّصميم والتّدقيق والتّحقيق للأجهزة قبل بنائها ، إذ يتبيّن أنّ التّكلفة لهذه الأجهزة تتوزّع كما يأتي:

- 40% للتّصميم.
- 40% للتّدقيق والتّحقيق.
- 20% للبناء.

أمثلة:

أولا: مثال المكدس:

المكدس هو تركيبة بيانات تحتوي على مجموعة من العناصر المرتّبة يمكن إضافتها أو سحبها / حذفها من نهاية واحدة يطلق عليها اسم قمّة المكدس. وتكمن خاصيّة المكدس فيما ي أتي: العنصر المدخل أخيرًا هو العنصر المسحوب / المحذوف أوّلاً.

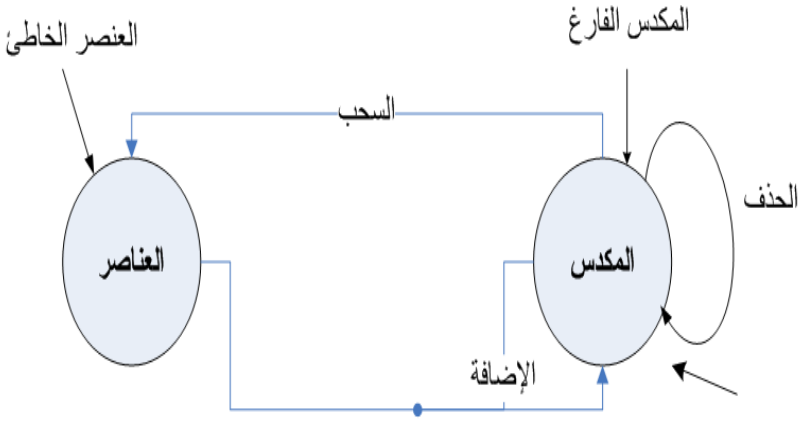

الأصناف:

المكدس العناصر

العمليّات الجبريّة :

المكدس الفارغ : --> المكدس

الإضافة : المكدس العناصر--> المكدس

الحذف : المكدس --> المكدس

السحب : المكدس -->العناصر

العنصر الخاطئ :--> العناصر

المعادلات الجبرية :

الحذف (الإضافة (م ،ع)) = م

السّحب (المكدس الفارغ) = العنصر الخاطئ

السّحب (الإضافة (م ،ع)) = ع

الحذف (المكدس الفارغ) = المكدس الفارغ

ثانيا: مثال معالجات النصوص :

حذف حرف

إزاحة إلى اليمين

إزاحة إلى اليسار

إزاحة إلى البداية

إزاحة إلى النهاية

محو سطر

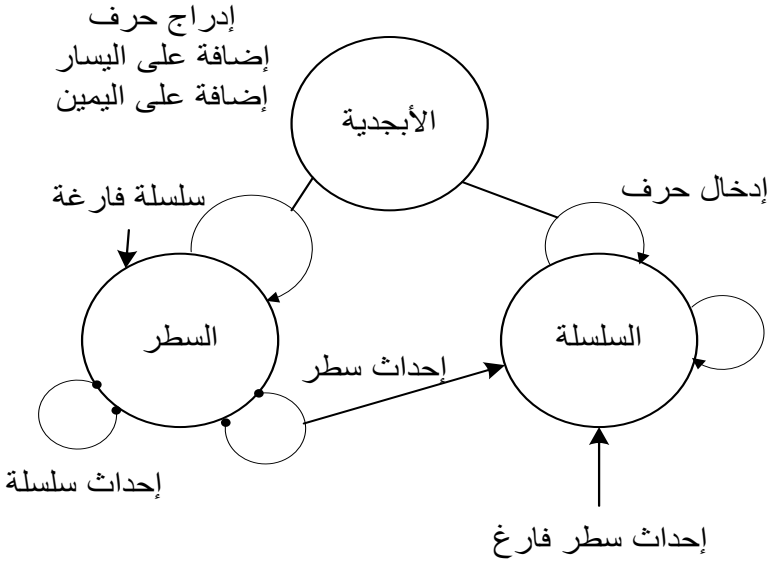

الأصناف:

الأبجديّة السلسلة السطر

العمليات الجبرية:

سلسلة فارغة : --< السلسلة

إدراج حرف : السلسلة الأبجدية --< السلسلة

إحداث سطر: السلسلة السلسلة --< السّطر

إحداث سطر فارغ : --< السّطر

إدخال حرف : الأبجدية السطر--< السّطر

حذف حرف : السطر--< السّطر

إزاحة إلى اليمين : السطر--< السّطر

إزاحة إلى اليسار : السطر--< السّطر

إزاحة إلى البداية : السطر--< السّطر

إزاحة إلى النهاية : السطر--< السّطر

محو سطر : السطر--< السّطر

المعادلات الجبريّة:

إحداث سطر فارغ = إحداث سطر(سلسلة فارغة، سلسلة فارغة)

إدخال حرف (أ، إحداث سطر(س1، س2)) =

إحداث سطر (س1، إضافة على اليسار (أ ، س2))

حذف حرف (إحداث سطر(س1، سلسلة فارغة)) =

إحداث سطر (س1، سلسلة فارغة)

حذف حرف (إحداث سطر(س1، إضافة على اليسار (أ ، س2)) =

إحداث سطر (س1، س2)

إزاحة إلى اليسار (إحداث سطر (سلسلة فارغة، س)) =

إحداث سطر (سلسلة فارغة، س)

إزاحة إلى اليسار (إحداث سطر (إضافة على اليمين (س1، أ)، س2)) =

إحداث سطر (س1، إضافة على اليسار (أ ، س2))

إزاحة إلى اليمين (إحداث سطر (س، سلسلة فارغة)) =

إحداث سطر (س، سلسلة فارغة)

إزاحة إلى اليمين (إحداث سطر (س1، إضافة على اليسار (أ ، س2))) =

إحداث سطر (إضافة على اليمين (س1، أ)، س2)

إزاحة إلى البداية (إحداث سطر(س1، س2)) =

إحداث سطر (سلسلة فارغة، إحداث سلسلة (س1، س2))

إزاحة إلى النهاية (إحداث سطر (س1، س2)) =

إحداث سطر (إحداث سلسلة (س1، س2)، سلسلة فارغة)

محو سطر(ر) = إحداث سطر (سلسلة فارغة، سلسلة فارغة)

الأنواع المجرّدة والتّدقيق:

تتمّ عملية التّحقيق عن طريق النّمذجة المباشرة باستخدام المعادلات الجبريّة كبرنامج مجرّد قابل للتّنفيذ، وذلك باعتبار المعادلات الجبريّة بمثابة قواعد تكراريّة للكتابة، ويمكن توضيح ذلك بمثال المكدس أو مثال معالج النصوص في الفقرة أعلاه.

الأنواع المجرّدة وجافا:

نفرّق بين جافا كجهاز افتراضي وجافا كلغة برمجة ، ولكنّ كليهما يعتمد على الأنواع المجرّدة، أي في الواقع على الآليّات الجبريّة المذكورة أعلاه ، والمعروف عن لغة البرمجة جافا أنّها لغة كائنيّة التّوجّه (برمجة شيئيّة/ برمجة كائنيّة)، إذ تمثّل الكائنات أساس هيكليّة البرمجة ، وتعرف الكائنات على أنّها تعليب للبيانات والدّوال الوظيفيّة معًا ، وما هذا التّعليب في الواقع إلا تسمية تكنولوجيّة لتركيبة جبريّة، إذ إنّ البيانات هي العناصر المكوّنة للمجموعة الحاملة لهذه التّركيبة الجبريّة ، وأما الدّوال الوظيفيّة فهي ترجمة خوارزمياتيّة للعمليّات الجبريّة الّتي تمّ التّطرّق لها فيما سبق، ويمكن توضيح ذلك بمثال المكدس المعرف أعلاه.

النماذج الجبريّة وهندسة البرمجيّات:

تُعنى هندسة البرمجّيات بالمنهجيّات والتّقنيات المناسبة لوضع المواصفات والآليات اللازمة لتصميم الأنظمة ذات التّراكيب المعقّدة وتدقيق ها وتحقيقها وبرمجتها، وكذلك العلاقة بالزّمن الحقيقيّ ، ومن المعروف عن هذه الأنظمة أنّ حدوث أبسط الأخطاء فيها بإمكانه أن يسبّب أضرارًا جسيمة على الصّعيدين المادّيّ والبشريّ، وفي هذا المجال كذلك تمّ التّوجّه إلى استعمال النّماذج الجبريّة بعد أن أثبتت النّماذج الأخرى قصورها ، والدّليل على ذلك الاهتمام البالغ الّذي

توليه بعض الشّركات العملاقة لهذا المجال من خلال استثمارات في بحوث متطوّرة تقوم بها مراكز بحوث متطوّرة جدًّا.

المدرسة العربيّة والحلول المستقبليّة لأزمة البرمجيّات:

من المعروف أنّ صناعة البرمجيّات تعيش أزمة مزمنة منذ زمن بعيد ، وهذا بالرّغم من التّطوّرات الملحوظة الّتي شهدها هذا القطاع خاصّة في ميدان اللّغات وأدوات البرمجة، لكنّ هذا التّطوّر يبقى ضئيلاً مقارنة بالتّطوّر المذهل الّذي حدث في ميدان الجانب المتعلّق بالبنية المادّيّة للحاسوب، ومن أبرز آثار هذه الأزمة الارتفاع المتواصل لأسعار البرمجيّات مقارنةً مع أسعار الأجهزة المادّيّة الّتي هي في انخفاض مستمرٍّ، ويبدو أنّ الحلّ سيأتي مرّة أخرى من المدرسة العربيّة أي عن طريق النّماذج الجبريّة، والدّليل على ذلك الدّعم غير المحدود الّذي تحظى به فرق البحث متعدّدة الجنسيّات الّتي اعتمدت المنهجيّات الجبريّة في خططها البحثيّة للخروج من الأزمة، و نخصّ بالذكر من هذه الفرق: فريق أ د ج الموجود بمركز بحث واتسون لشركة إ ب م الّذي ابتكر نموذج الجبريّات المتعدّدة الأصناف ، والفريق المتواجد بمعهد ستانفورد للبحوث بالولايات المتّحدة الأمريكيّة الّذي طوّر النّموذج المذكور أعلاه ليشمل النّظم الموازية والنّظم الموزّعة وشبكات الحاسوب. كما نخصّ بالذّكر المشروع المعروف باسم كمباس والمتكوّن من باحثين ينتمون إلى أبرز الجامعات الأوروبيّة كجامعة التّكنولوجيا ببرلين، وجامعة إيدينبرا ببريطانيا، وجامعة جنوا بإيطاليا، وجامعة أرهوس بالدنمرك ، وجامعة برشلونا بإسبانيا، وجامعة باريس الجنوبية بفرنسا وجامعات أوروبية أخرى ، وقد ساهم هذا المشروع في إثراء مفهوم ما سمي بالمواصفات الجبرية وتوضيح هـ،ويجدر بالذّكر أنّ هذه الجهود والمبادرات توّجت بإنشاء فريق عمل ينشط ضمن الفدرالية العالمية لمعالجة المعلومات، إذ يضمّ هذا الفريق باحثين بارزين من أمريكا الشمالية وأوروبا

واليابان ، ويقوم بتنظيم ندوة دوليّة سنويّة تحت عنوان التّقنيات الجبريّة لتصميم البرمجيّات.

الخلاصة:

نستنتج ممّا سبق أنّ أسلوب التّفكير الجبريّ ومن ثمة المدرسة الرّياضيّة العربيّة لا تزال قائمة وفعّالة، بل مواكبة للتّطوّر التّكنولوجيّ المعاصر إذ لم نقل مبدعة في أبرز ميادينه، ألا وهو ميدان الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات. وبما أنّ اللّغة العربيّة تعتبر التّركيبة الحاملة الأساسية (بالمفهوم الجبري) لهذه المدرسة فإن الخلاصة واضحة فيما يخص الجدل القائم حول قدرة اللّغة العربيّة لاستيعاب علوم وتكنولوجيّات العصر.

المراجع

1. http://www.di.unipi.it/WADT2008/
2. http://www.easst.org/board/index.html
3. http://www.fiadeiro.org/jose/IFIP-WG1.3/
4. Coalgebraic Methods in Computer Science, latest volume edited in 2006 by N. Ghani and J. Power
5. Algebraic Development Techniques, latest volume edited in 2007 by José Luiz Fiadeiro and Pierre-Yves Schobbens
6. Algebraic Foundations of Systems Specification edited in 1999 by Egidio Astesiano, Hans-Jörg Kreowski, and Bernd Krieg-Brückner
7. Algebra and Coalgebra in Computer Science

   Second International Conference, CALCO 2007, Bergen, Norway, August 20-24, 2007, Proceedings Series: Lecture Notes in Computer Science , Vol. 4624

Sublibrary: Theoretical Computer Science and General Issues

Mossakowski, Till; Montanari, Ugo; Haveraaen, Magne (Eds.)

2007, XI, 463 p., Softcover ISBN: 978-3-540-73857-2

التّعقيبات والمناقشات

- توجَّه **الدّكتور عبد اللّطيف عربيّات** في مستهلّ تعقيبه بالتَّحيِّة للدّكتور محمّد بطّاز من الجزائر شاكرًا إيّاه على هذه المحاضرة القيّمة الفريدة في مفهومها ومحتواها، وهي بداية مؤمّلة – إن شاء الله– لفتحٍ جديد ، ولبناء حضارة لهذه الأُمّة على أسسٍ سليمة جذورها عميقة في تاريخ هذه الأُمّة، وقد أوضح كيفيّة بناء حضارة جديدة للأُمّة على أُسس مكينة، إذ تكون بدايتها إدراك هذه الأُمّة لحقيقتها وموطن رفعتها وعزّتها، فقد صُمَّت الآذان من كثرة ما سمعنا من انتقاداتٍ للُّغة العربيّة بغية تمزيقها ووضعها في شرائح جديدة لتناسب الآلة الحديثة الغربيّة، فالأمّة العربيّة تعيش الآن في غفلةٍ وتيهٍ يجعلها بعيدة عن معرفة هُويّتها وحقيقتها وجذورها العميقة في العلم والمعرفة، وهذه الغفلة وُصفت في القرآن الكريم بقوله تعالى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف179) فالنّهضة العربيّة القادمة تتطلّب التّخلّص من هذه الغفلة والعودة إلى المرتكزات الأَساسيّة للأُمّة والإحساس بالمسؤوليّة المباشرة تجاه أمّتنا.

- أشار **الأُستاذ مأمون الحطّاب** إلى أنّ هذه المحاضرة قد فتحت آفاقًا جديدة، واستدعت مناقشة الحضور المحاضر في بعض الأُمور بغية ربط المعارف بعضها في بعض ، ذاكرًا أنّ تدريس الحساب والجبر والهندسة الّذي كان مقرًّا سابقًا استُبدَل به الكالكولس (Calculus)، والكالكولس ابتعادٌ عن التّجريد ، وهذا خلل؛ لأنّ البحث العلميّ الأساسيّ الّذي يتطلّب العقل الرّياضيّ يستدعي التّجريد، فالنّمذجة الرّياضيّة تستوجب معرفة بالعلوم المجرّدة مثل الجبر، وعودة الغربيّين إلى استخدام الجبر مؤشّرٌ على اتّهام الكالكولس (Calculus)

بأنّه لا يصلح في هذا المجال، فهو أدخل الجبر والهندسة والحساب وطرحها من منظورٍ جديدٍ وهو منظور المجموعات، ولذا انبثقت الحاجة الآن إلى العودة إلى التّجريد في العلم خاصّةً في موضوع اللُّغة.

ثمّ أشار إلى قول تشومسكي: إنَّ اللُّغة العربيَّة يمكن نمذجتها رياضيًّا، موضحًا أنّ هذا بلا شكّ منطلقٌ من فكره في النّحو الكلّيّ، وأنَّ النَّحو هو عبارة عن منطق داخل الدّماغ، والمنطق يمكن التّعبير عنه رياضيًّا، لكنّ تجربة استخدام الرّياضيّات أو الكالكولس في التّعبير عن اللُّغة العربيَّة لم يوافقها حظٌّ كبيرٌ، ولعلّ استخدام الجبر وتطبيقه يفتح آفاقًا كبيرةً جدًّا خاصّةً في علم الدّلالة، ولذا ينبغي دراسة هذا الأمر ومحاولة تطبيقه على اللُّغة العربيَّة، فهذا علمنا، فلماذا لا نعود إليه ونطبّقه على لغتنا؟!.

- رأى **السَّيّد ماجد الطّاهر** أنّ هناك بونًا وفجوةً في النّظرة إلى التّرجمة بين التّقنيّين وأهل اللُّغة، مشيرًا إلى ما ذكره المعقّبون على المحاضرة السّابقة "التّرجمة الآليّة للُّغة العربيَّة" ، فالتّقنيّون ذكروا أنَّ هناك خللاً في التّرجمة الآليّة، وينبغي أن نبدأ بالتّطوير لإصلاح هذا الخلل، وهذا خيرٌ من أن لا نبدأ، ومن المعروف أنّ هناك مستشرقين يقودون هذا المجال، وربّما في المستقبل يعطوننا ويملون علينا ما يريدون لا ما نريد، واللُّغويُّون يقولون إمَّا أن تكون دقّة التّرجمة الآليّة للُّغة العربيّة بنسبة مئة في المئة، وإمَّا أن تُتْرَكَ هذه التّرجمة الآليّة ويُقتصر الاعتماد على التّرجمة البشريّة، كي لا يساء إلى اللُّغة العربيَّة.

وبالنّسبة لمحاضرة الدّكتور محمّد بطّاز فقد أشار إلى أنّه مختصٌّ بالآلة والمشكلة لا تكمن فيها، بل تكمن في الجانب البرمجيّ لها، متسائلاً هل المقصود في حديث المحاضر الآلة أم الجانب البرمجيّ للآلة؟ وقد استوضح المقصود

بالمكدس الّذي طُرح في هذه المحاضرة أهو ما نعرفه وهو مكان في الذّاكرة لتخزين العناوين عند التفرُّع في الخوارزميّة، ويكون أخذ المعلومات والعودة إليها بالرُّجوع عكسيًّا، ولن تحصل فيها أيُّ حالة حذفٍ...، أم إنّه شيءٌ آخر لم نسمع عنه؟

- تساءل **الدّكتور داوود** هل هناك إمكانية لوصف لغة وصفًا تامًّا باستخدام الوصف الجبريّ؟ وهل تمّت محاولات لوصف اللُّغة العربيَّة بطريقة جبريّة؟! فمن المعروف أنّ أصعب شيءٍ في عمليّات الحوسبة هو المتعلّق باللُّغة وتحليل اللُّغات، موضحًا إمكانيّة أن يتمّ تحويل الوصف الجبريّ الّذي يعتبر تجريدًا عالي المستوى للُّغة (high abstraction) إلى برامج مثلاً ، مشيرًا إلى أنّه قام بمحاولة في هذا الصَّدد تكلّلت بالنّجاح في إنشاء محلّل لغويّ (Parser) قادر على تحليل الجمل العربيَّة الصّعبة ، وإنتاج وصف لها وهي مخرجات التّحليل (Parsing)، ومن الممكن أن يكون قد تمَّ هذا الأمر عن طريق الوصف الجبري من دون إدراكٍ لذلك، ذاكرًا أنَّه قد استخدم الأشكال الصُّوريّة لإنشاء هذا المحلّل اللُّغوي ، متمنّيًا أن يقوم باستخدام الوصف الجبريّ، فهل من الممكن أن نصف لغتنا وصفا تامًّا باستخدام الجبر، ويكون قابلاً للتّحويل الرّياضيّ؟
- تساءل **الدّكتور مشهور مشاهرة** ما الّذي يمكن أن يقدّمه اللُّغويّ للمبرمج في حالة إقامة تعاونٍ مشترك بين كليّة تكنولوجيا المعلومات وقسم اللُّغة العربيَّة، وهل إنجاز رسائل علميّة مشتركة أو بحوث مشتركة سيُعزّز صلة الرّحم بين هذين التّخصُّصين؟!

- ردًّا على تعقيبات الحضور أُعطيت الكلمة للدّكتور محمّد بطَّاز، إذ استهلّ ردّه بتوضيح المقصود بالمكدس، مُشيرًا إلى أنَّه كما ذكر السّيّد ماجد، فهو يصنّف ضمن الأنواع المجرَّدة للبيانات، وهذا يعني أنّنا ينبغي أن ندرك الفرق بين

المكدس (وهو نوعٌ مجرّد) واستخدامه، فإذا أردنا أن نستخدم الإجراءات (Procedures) نضعها في صفوفٍ، وعند الانتهاء من تنفيذ الإجراء الأخير نقوم بتنفيذ ما بعده وهو الدّاخل أوّلاً، فهذا استخدام المكدس، أمّا المكدس فمثاله في تجريد البيانات الطّابور، الشّجرة ...، فهذه نستطيع أن نصفها وهي خارجة عن استخدامها التّكنولوجيّ. فالمكدس مفهوم مستقلّ يَعني أَنَّ الدَّاخل أخيرًا خارجٌ أَوّلاً، وله استخدامات متعدّدة، فعند قيامك بعمل أُنموذجٍ معيَّن في برنامج معقَّد تستطيع أن تستخدم المكدس مباشرةً لإنجاز عملٍ آخر.

ثمّ تحدّث عن أهمّيَّة الفكر الجبريّ، إذ تكمن أهمّيّته في تجرّده من التّفاصيل التّكنولوجيّة، لأنَّ التّكنولوجيا في تغيُّر مستمرٍّ، فالتّجريد عائدٌ إلى قوّة التّفكير العربيّ، ولولاه لما وصلنا إلى الإنجازات الحاليّة التي وصلنا إليها، وهناك نوعان للتّجريد، الأنواع المجرَّدة والأنواع المجرّدة للبيانات، مشيرًا إلى أنّ هناك فرقًا بين البيانات المدخلة ضمن إجراءات والبيانات المدخلة أثناء تنفيذ البرنامج، فمن الممكن أن تُنْقَلَ البيانات من شبكةٍ إلى أخرى ولا تُرى إلاَّ بشكل سلاسل أحاد وأصفار، أمّا التّفسير (interpretation) فهو شيءٌ آخر، وقد ذكر أنّ المعادلات الجبريّة تعني أن تكتب الإجراء الّذي تريده، فعند ترجمة نصّ (Compile) يُعمل له تدقيق بالنّسبة للمترجم (Compiler)، فهناك التّجريد وهناك التَّطبيق (implementation) كتركيبة بيانات أو أيّ نوعٍ آخر.

أمّا بالنّسبة للسُّؤال عن المقصود في المحاضرة أهو الآلة أم الجانب البرمجيّ لها، فقد ذكر أنَّ الآلة عبارة عن مستويات من التّجريد، فهي تعتمد في بنائها على نموذجٍ جبريّ محض، والعلاقات الجبريّة تقوم بتوضيح نتيجة إنجازك، وهل أنت على خطأ أم على صواب، فالإجراءات التي قمت بها عمليّة بسيطة مجرّدة لكن معرفة أنّها صحيحة تكون باستخدام العلاقات الجبريَّة، مشيرًا إلى أنّ هناك كثيرًا من الأخوة يعتقدون أنّ الخوارزميّات ستحلّ المشكلة من دون تقديم الجهد

المطلوب وهذا غير ممكن، وقد ذكر أنّه قد أعطى طالبة مجدّة، تودّ أن تقدّم عملا متقنًا في أطروحتها للماجستير، محرِّر النّصوص فكتبت برنامجًا كاملاً عبارة عن معادلات بحيث يظهر أنَّه ليس برنامجًا حاسوبيًّا، فلا توجد فيه إجراءات ووظائف وتعريفات نوعيَّة، ولا يوجد فيه أيضًا لغة برمجة ، وقد قامت بكتابة نموذجٍ أوّليّ لتوضيح ميّزات برنامجها، ولكنّ الوقت لم يتح لها أن تجري نقاشًا حول هذا البرنامج ... فالوصول إلى إنجازاتٍ بالتّكنولوجيا بهذا التّجريد غير ممكن، ولكنّ الأفكارَ صالحة للتّدقيق.

وقد أوضح أنّه من الممكن وصف لغتنا العربيّة وصفًا كاملاً بطريقة جبريّة، فاللُّغة العربيَّة لغة جبريّة – كما قال تشومسكي– والجبريّات هي عبارة عن وضع أنموذج لغويّ دقيق جدًّا، ولكنّ هذا الأمر يتطلّب تعاونًا من اللُّغويّين والحاسوبيّين، والمحاولات الموجودة في وقتنا الرّاهن تقتصر على كتابة محلّل للغات البرمجة، موضحًا أنّ ما هو موجود في اللُّغة الطبيعيّة مطروحٌ الآن على مستوى لغة البرمجة، فلغات البرمجة تحتوي على قواعد نحويّة وتفتقر إلى علم دلالة معتمد ودقيق ومثل ذلك في اللُّغات الطَّبيعيَّة، وقد أشار إلى دراسته للغة برمجة الخوارزميّات عندما كان طالبًا، وكان الحاسوبيّون يدرسون مع لغة البرمجة (Fortran) لغة (Algol)، والمشكلة أنَّنا نكتشف . كلّ سنة . خطأ في هذه اللُّغة يحتاج إلى تصحيحٍ، والخطأ لم يكن في علم الدّلالة، فهي معروفة، ولكنَّه في الفهم، فالمبرمج أحيانًا عندما يكتب برنامجًا بلغة (algol) يعتمد لغة جافا، كما أنّ المبرمج هو مَن يكتب برنامج جافا والمترجم (Compiler) والبرنامج المنفّذ (executer)، الّذي يستجيب بسرعةٍ متناهيةٍ للغة جافا، لأنَّ وصف الدّلالة يكون باللُّغة الطَّبيعيّة أي أنّ وصف ما يقوم به البرنامج موجود في اللُّغة الطَّبيعيَّة.

وأضاف قائلاً: إنّ المحاولات الّتي تمّت باللُّغات الجبريَّة في حدود معرفته هي إعطاء دلالة دقيقة غير غامضة يفهمها كلُّ البشر بالطّريقة نفسها، وما زالت

المؤسّسات تعمل على حلّ جانب الدّلالة في أزمة البرمجيّات، ولا بدّ أن يكون لنا– نحن العرب– دورٌ في حلّ هذه الأزمة.

وقد أشار إلى أنّ المبرمج والكاتب من الممكن أن يتوصّلا إلى خطأ في مترجم الجافا، ولكنّ هذا الأمر ربّما يحصل بعد مدّة طويلة تُقدَّر بعشر سنوات، ثمّ أوضح أنّ بعض المبرمجين يكتب برنامجًا، وبعد التّنفيذ يكتشف أنّ المترجم يوجد فيه خطأ، وهنا تكمن أهمّيَّة الجبر الذي يعالج القضايا غير المنتهية بطريقةٍ منتهية مثل الأرقام الطّبيعيّة، فإذا حدّدت مفهومًا ورغبت في وضع مقاييس له تلمسه باليد، وهذه قوّة المواصفات الجبريّة، ذاكرًا أنّ الأُمور الأمنيَّة للبرمجيَّات مهمّة جدًّا، فمن المفترض أن نكون مستقلّين لنتمكّن من التّعاطي مع معطيات التّكنولوجيا.

- أوضح **الدّكتور حامد صادق قنيبي** نظريَّة الخليل بن أحمد في ترتيب الحروف ترتيبًا صوتيًّا، إذ قسَّم الحروف العربيَّة إلى سبع طبقات، والثّامنة والتّاسعة كانت بالحروف الهوائيّة الأخيرة، ما حدا ببعض الطلاّب النّابهين في كلّيّة المعلوماتيّة إلى أخذ فكرة الخليل وعمل نمذجة في "مختبر اللُّغات الطّبيعيّة" للغة مثاليَة، وقد انطبقت هذه اللّغة مع مخارج الحروف العربيَّة الصّحيحة، فتدوين الفراهيديّ للطّريقة الصَّوتيَّة حافظ على سلامة اللُّغة العربيّة الصَّوتيّة ، ثمّ أشار إلى أنَّ هذه التّجربة الّتي قامت في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن أخذها قسم المرور في المملكة العربيّة السّعوديّة، وعمل على تغيير لوحات المركبات، إذ استبدلت بالأرقام الحروف، لأنَّ اللُّغة العربيَّة تنتج مليون ونصف مليون مدخل لغويّ، وهذه المداخل ليست عاملة جميعها عند الفراهيديّ، فقد استعمل ثلاثة مصطلحات، إذ عني بالمدخل الجذرَ أو المصدرَ، إضافةً إلى أنّه يعني أنّ من الممكن أن يأتي المدخل باللُّغة العربيّة وله شروط معيّنة، إذ يكون متباعد الحروف من طبقة إلى طبقة، وأن يكون

قابلاً للتّقليب الموضعيّ مضروب العدد اثنين وثلاثة وأربعة ، وهي المداخل العربيّة فتكون 12 مليون ونصف مدخل لغويّ.

واختتم تعقيبه ببيانه أنّ من الممكن أن تتَّضح الإجابة عن استفسار الدّكتور داوود بمتابعة ما قام به هؤلاء الطُّلاب في أُطروحتهم لنيل شهادة الماجستير.

المحاضرة الرّابعة

اللُّغة العربيّة والشّبكة العنكبوتيّة / قضايا وحلول

الدّكتور أحمد حياصات

رئيس مجلس مفوضي هيئة تنظيم قطاع الاتّصالات

الرّئيس التّنفيذي

الثّلاثاء 13 جمادى الآخرة 1429 هـ - 17 حزيران 2008م .

أصحاب الذّوات الأساتذة رؤساء وأعضاء مجامع اللُّغة... الحضور الكرام

تحيّة مقرونة بالمحبّة والتّقدير وبعد،،

السّلام عليكم ورحمة الله..

لعلّ الجميع يوافقني الرّأي في أنّ علاقة اللُّغة العربيّة بما يسمّى بالشّبكة العنكبوتيّة ما زالت تختمر، وإن ظهرت أعراضها الّتي أثارت المتابعين بين عابئ قلق، وعابئ يرى إمكانيّة التّكيّف أو التّفهّم، ومن غادر دائرة الاهتمام من صراع اللُّغة العربيّة مع المؤثرات عليها منذ وقت بعيد حتّى حين كانت التّحديات تأخذ أشكالاً أخرى من تأثير وسائل مختلفة، كان منها المذياع الّذي استفزّت لغته أدباءنا ومثقّفينا، أو حتّى القنوات الفضائيّة وما تقدّمه من لهجات عامّيّة، وصولاً إلى التّأثير الكبير للشّبكة العنكبوتيّة (الإنترنت) وآثارها الّتي ليس من السّهل حصرها حتّى الآن، لأنّ الأجيال المتأثّرة وحتى اللُّغة الأمّ المتفاعلة أو المتأثّرة ما زالت لم تحصر الخسائر من جهة ولا حتّى الأرباح إن وُجِدَت من جهة أخرى.

وما بين اللُّغة العربيّة في وضعها الّذي آلت إليه قبل صدامها، وإن شئتم تفاعلها مع (الإنترنت) والحرص عليها من جيل الآباء أو الأجيال الطّالعة يبقى ثمّة مسافات واسعة يمكن الجلوس فيها للتّقويم في معركة اللُّغة العربيّة مع التّحديات وما ثار من جدل واسع ما زال محتدمًا.

إنّ علاقة الإنسان العربيّ بلغته علاقة قويّة جدًّا، فاللُّغة العربيّة السّليمة تؤثّر في أبنائها تأثيرًا كبيرًا، لقد قال مستشرق فرنسي في مطلع السّتينيّات "الآن عرفت لماذا حرّم الإسلام الخمر فللعرب لغة تدور بالرّؤوس ..." هذه اللُّغة لم تعد كذلك، فلماذا نجد من يضيقون ذرعًا بحالة اللُّغة القادمة من مصادرها الأصليّة من دون

خدمة عليها أو تطويرها؟ وهؤلاء إنّما يعبّرون عن ضيق فعليّ من صعوبة تعلّمها واستعمالها، وهم جزءٌ كبير من طلابنا في العالم العربيّ في مختلف مراحل الدّراسة، وهؤلاء لا نستطيع أن نسكتهم بالقوّة أو الاتّهام بالتّخوين أو عدم احترام اللُّغة حين يشكون؛ ولذا فإنّ المطلوب، كان وما زال، خدمة اللُّغة بتهذيبها وتشذيبها وتقديم الحيّ الصّالح منها ووضع القديم والمتحجّر الّذي عفا عليه الزّمن من مفرداتها أو عباراتها في المعاجم اللّغويّة والتّاريخيّة وإيداعه للتّاريخ... .

وحتّى نلج باللُّغة العربيّة عالم الشّبكة العنكبوتيّة بغية توظيف الشّبكة في خدمة اللّغة، فإنّ المدخلات يجب أن تكون على درجة من الإعداد، إذ ليس من المعقول أن يجري الاستمرار في فتح حقول التّراث على مصاريعها لاستعمالات غير المتخصّصين أو نشر الكلمات خارج المعاجم، إذ يصل تعدادها ما يقارب مليوني كلمة وعلى وجه التّحديد 1.900.000 كلمة، في حين لا تتجاوز الإنجليزيّة وهي لغة العصر ثُمن هذا العدد وتحديدًا (250) ألفًا.

صحيح أنّ اللُّغة العربيّة ثريّة وثريّة جدًّا بمفرداتها ومترادفاتها وظلال كلماتها، ولكن لا يجوز أن يخدع هذا الثّراء أبناء اللُّغة فيتقاعسوا عن تقديم المساعدات الّتي أصبحت الحاجة ماسّة لها وذلك بالعمل في خدمة اللّغة بعناية وعلميّة.

الحضور الكريم،

إنّ علينا في مختلف مواقعنا علماء لغة أو علماء في البرمجة والمعلوماتيّة وغير ذلك من مواقع أن لا ندفع اللُّغة العربيّة إلى الانتحار على ألسنة الأجيال الطّالعة حين لا نقدّم لهم شيئًا ينقذهم وينقذها – وعندها سنضمّ أصواتنا إلى صوت الدّكتور شوقي ضيف بالقول: "إنّ العربيّة لن تنتحر ولن تتراجع.. بل تزدهي

وتزدهر على أيدي أبنائها البررة" حين نعمل عليها ونخدمها ونقدّم استعمالاتها العاديّة، ونجد الحلول للتّحدّيات الّتي تواجهها عبر شبكة الإنترنت.

أريد أن أذكر قبل أن أدخل إلى موضوع المحاضرة مباشرة أنّ اللُّغة تتأثّر بالرّوح السّائدة للحضارة وإنجازاتها وآليّاتها، فأحد المؤشّرات المهمّة على تحضّر شعب من الشّعوب هو علاقته بلغته.. كيف ينظر إليها، وكيف يتعامل معها، ثمّ كم هي قدرات لغته على التّعامل مع نمط الحياة السائد... .

فقديمًا، عندما كان العرب هم أصحاب السّيادة في العالم القديم، كانت الشّعوب تتعلّم لغتهم وتفاخر أنّها تستعمل مفرداتها في ثنايا الحديث، كما كان حال العرب في الأندلس حين كانت الإسبانيّات المرفّهات يستعملن بعض الكلمات العربيّة دليلاً على التحضُّر.. والسّؤال: هل ضعف اللُّغة من ضعف أبنائها؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل سيظلُّ الضّعف ينتاب لغتنا ما دمنا نضعف ونتفرّق؟ أم يمكن أن تقوم نهضة في الفكر واللُّغة والأدب، حتى يظلّ الضّعف بمفهومه السّياسيّ، كما الحال حين شهد القرن الرّابع الهجريّ تقدّمًا في الأدب والفكر وضعفًا في بنية وحدة الأمّة وانسجامها.

أستطيع القول باختصار إنّ اللُّغة العربيّة الآن تعاني من الغربة وسط أبنائها في الوطن العربيّ، وهو أمر ليس مستحدثًا لأنّها تتعرّض لمختلف أشكال الغزو بين الحين والآخر وعلى أيدي أبنائها أنفسهم.

بداية يمكنني أن أرصد أمام مسامعكم واقع التّقابل بين اللُّغة العربيّة وشبكة الإنترنت فيما يسمّى المحتوى العربيّ على (الإنترنت).

لعلّ التّحدّي الّذي يواجه العربيّة في الشّبكة العنكبوتيّة ليس قديمًا وإن كان عميقًا، فشبكة الإنترنت هي أحد أسلحة وزارة الدّفاع الأميركيّة الّتي قدّمتها كأحد إنجازاتها عام 1969 لتوفير إمكانيّات تبادل المعلومات في حال هجوم نوويّ،

وبعدها ربطت شبكات أخرى بها في جميع أنحاء العالم، وإذا كان ما يهمّنا هو المحتوى على الإنترنت لنتعرّف إلى مدى تأثّره حين يكون باللُّغة العربيّة ومدى قدرته على الخدمة حين يكون بهذه اللُّغة، فإنّ هذا المحتوى بالعربيّة على الشّبكة العنكبوتيّة لا يتجاوز 1% في حين تشكّل الإنجليزيّة 68% من المحتوى، إضافةً إلى أنّ مستعملي الإنترنت من النّاطقين بالعربيّة (الّذين يستعملونها في الإنترنت) لا يتجاوزون 11 مليون نسمة أي ما يعادل 1.4% من مجموع مستعملي الإنترنت في العالم.

ما نحاول أن نتوقف عنده هو أيضًا الآثار السّلبيّة للإنترنت وخاصّة على اللُّغة العربيّة، ولأنّ الشّبكة العنكبوتيّة صناعة أمريكيّة فهناك سيطرة أمريكيّة عليها، وبالتالي تتحكّم إلى حدّ كبير في مضمونها ومحتواها من خلال ثقافتها الّتي تُقدّم بالإنجليزيّة، وهذا يعني تألق هذه الثّقافة وذبول الثّقافات الأخرى الّتي لا تستطيع أن تنافس، إذ تجد في وجهها عقبات ومحدّدات، ولهذا فإنّ لغة الإنترنت الرّئيسة (الإنجليزيّة) تفرض نفسها على اللّغات الأخرى، وخاصّة العربيّة؛ ولهذا نلحظ تحدّيات كبيرة وخطيرة تواجه اللُّغة العربيّة في الإنترنت حين يجري تهميشها في كثير من المعارف والعلوم والإدارة وخاصّة في ميادين رجال الأعمال وميدان النّشر العلميّ والبحوث والتّعليم العالي والمؤتمرات العلميّة وفي تبادل الخبرات الثقافية أيضًا.

ولذا نلاحظ أنّ ضعف المحتوى العربيّ على الإنترنت يحرم أغلبيّة النّاطقين باللُّغة العربيّة من الاستفادة من الإنترنت، ويجعلها مقتصرة في استعمالها على خدمات بسيطة، وهذا لا يسمح لها أن تكون لغة تطوير العلم والاقتصاد في البلاد العربيّة، وإذا كان المحتوى العربيّ على شبكة الإنترنت ما زال محدودًا ومتواضعًا فإنّه يواجه مشاكل يراها البعض بنيويّة أيضًا .. فهل اللُّغة العربيّة نفسها الّتي يتكوّن منها المحتوى تشكّل عائقاً يؤخّر صناعة هذا المحتوى؟ أم أنّ هناك عقبات

كثيرة محتملة، منها شكل الحروف العربيّة والكتابة من اليمين إلى اليسار والضّبط بالشّكل، ثمّ إنّ المجاز يؤخّر جدًّا التّرجمة الآليّة بل يتوجّه البعض إلى من يريد استعمال هذه التّقانات الحديثة أن يتقن اللُّغة الإنجليزيّة ويغضّ الطّرف عن اللُّغة العربيّة. لا شك أنّ أصحاب هذا الرّأي فاتهم ما يمكن أن يجرّه هذا التّوجه من نتائج وخيمة تمنع مجتمعنا العربيّ من التّطوّر والتّحول إلى مجتمع المعرفة، وتؤدّي بالتّالي إلى عزلته وتخلّفه وتمكين الآخرين من السّيطرة عليه.

وهذه التّحديات الّتي تواجه حمل اللُّغة العربيّة على الشّبكة العنكبوتيّة لصناعة المحتوى للعديد من المعارف والعلوم تفترض العمل على اللُّغة وتنشيط البحوث فيها، وخاصّة في مجالات التّحليل الصّرفيّ، أي دراسة بنية الكلمة وكيفيّة تشكيلها من مكوناتها الأساسيّة، والتّحليل النّحويّ أيضًا، وذلك بدراسة العلاقات البنيويّة بين الكلمات لتشكيل الجمل، فهو يفيد في تقطيع الجملة وتحديد مكوّناتها، والتّحليل الدّلاليّ، بدراسة معاني الكلمات وتجميع تلك المعاني لتحديد معاني الجمل.

المعالجة على المستوى الاستعرافي، حيث يكون الاهتمام باستخدام اللُّغة في سياقها الاجتماعي... ، وكذلك وضع المعاجم الحاسوبيّة، وهي معاجم تختلف عن المعاجم التّقليديّة في مداخلها، ولا يعود مستعملها إلى جذر الكلمة، كما إنها مزودة بمحرّكات بحيث تجعل استعمالها سريعًا وسهلاً ومقتصدًا للوقت.. وأيضًا ممّا يجب العمل عليه هو معالجة الكلام من تركيب وتعرّف وضغط.. إذن لا بدّ من العمل على اللُّغة نفسها لإعدادها بشكل أفضل حتّى نستطيع أن نكّون منها المحتوى الّذي يقبل التّطوّر وسهولة الاستعمال، وحتّى تزال العقبات الّتي يعتقدها البعض من التّحدّيات المانعة لتطوير المحتوى.

إنّ هذه التّحدّيات المفترضة وغيرها المتعلّق بتعرّف الكتابة العربيّة تفرض العمل على المستوى العربيّ من الجهات المعنيّة بالعربيّة في العديد من المواضيع حتّى يمكن تطوير المحتوى الرّقميّ العربيّ... .

فما هي الحاجات والخطوات الّتي يراها العاملون في هذا الحقل؟ لقد حصروها في ثلاث:

أولاً: هي محرك بحث فعّال باللُّغة العربيّة يستطيع معالجة الأخطاء الشّائعة ويكون أكثر شموليّة ممّا يتوافر في محرّك بحث آخر.

ثانيًا: نظام الأسماء العربيّة للنّطاقات، وكتابة أسماء المواقع على الإنترنت باللُّغة العربيّة.

ثالثًا: محرّكات للتّرجمة الآليّة بين مختلف اللّغات العالميّة للتّعامل مع الاختلافات في طريقة الكتابة بين المشرق العربي ومغربه، حيث لا يتوافر حتى الآن سوى محرّك ترجمة (المسبار)، ويبدو كما يذهب الدّكتور محمّد مراياتي في اقتراحه على مجامع اللُّغة العربيّة وبالتّعاون مع جمعيّات الحاسوب المختلفة في البلاد العربيّة ومع القطاع الخاصّ وشركات الاتّصالات وتقنية المعلومات أن تقوم بإنشاء جمعيّات تهتمّ بأمور اللُّغة العربيّة والمحتوى على الشّبكة في كلّ الدّول العربيّة.

ويرى المهتمّون في أبحاث المحتوى على الشّبكة أنّ توافر المحتوى الرّقميّ العربيّ على الإنترنت لا يكفي وحده للتّعامل مع مجتمع المعلومات، بل لا بدّ من تناول تطبيقات المحتوى في توليد المعرفة؛ ولذا فإنّ المحتوى ليس سوى ذلك الرّابط الّذي يحكم الصّلة بين الابتكار الثّقافيّ وتجديده وبين استثمار الابتكار والتّجديد.

ومن هنا فإنّنا نعتقد أنّ صناعة المحتوى الرّقميّ هي من أهمّ الصّناعات الحديثة الّتي تساعد على توفير فرص عمل جديدة متنوّعة ستكون على قدرٍ من الأهمّيّة... .

دعونا مرّةً أخرى نتأمّل الواقع.. فهل اللُّغة العربيّة قاصرة في تشكيل المحتوى العلميّ المتطوّر على شبكة الإنترنت؟ لو صحّ ذلك فإنّ من أشد درجات التّناقض مع الواقع ذلك الحفاظ على قصورها عند من يقولون بذلك، ولماذا لا يجري الإقبال منهم أو من غيرهم على استخدامها؟ فالّذين يعرفون مواقع القصور يتوجّبُ عليهم الإصلاح والتّغيير؛ لأنّ السّكوت عن هذا كالسّكوت عن الحقّ، ويعني ذلك أيضًا تخاذلاً وشكلاً من أشكال الخيانة للغة!! .

صحيح أنّ لغة الشّبكة العنكبوتيّة الأصليّة هي الإنجليزيّة، إلا أنّ اللُّغة العربيّة لها وجود في تلك الشّبكة، فلماذا لا تجري صناعة واسعة للّغة لتطوير هذا الوجود وتمكينه من رفع كلّ العقبات ومواجهة كلّ التّحدّيات؛ لكي لا يعزف أحد عن العربيّة سواء من أبنائها أو من الرّاغبين في استعمالها أداةً للمعارف، وحتّى لا نستكين للّغات الأخرى ونعتبرها الأقدر عبورًا وتطوّرًا على الشّبكة على الرغم مما يعتري تلك اللّغات من نواقص وعوامل وأسباب قد تكون أكثر ممّا يتذرّع به أولئك الّذين يديرون للعربيّة ظهورهم من أبنائها، ولا يقبلون على خدمتها على الرغم من معارفهم وتخصّصاتهم الواسعة في مجال علوم الشّبكة وتقنياتها.

فالشّاشة الصّغيرة أيّها السّادة تستجيب لكلّ البشر، فقد تعلّمت هذه الشّبكة العنكبوتيّة الصّينيّة واليابانيّة وحتّى العبريّة والأمهريّة في سواحل أثيوبيا، ولأنّ للإنجليزيّة خصائص في الحروف والكلمات والرّموز وحتّى شكل الكتابة الأفقيّة، فإنّ هؤلاء من أصحاب اللّغات الأخرى طوّعوا الإنجليزيّة لأشكال لغاتهم فأرغمها الصّينيّون واليابانيّون على الحركة الشاقوليّة بدل الأفقيّة تبعًا للغاتهم الأمّ، كما

أحدثوا على وضعها في الشّبكة تغييرات تتناسب ولغاتهم. فلماذا لا نقوم مثلهم بتطويع الآخر لنا بدل أن نظلّ نرهن أنفسنا بما لدى الآخر؟ والمثير للعجب أنّنا حين نريد أن نتعلّم بالعربيّة في عقر دارنا ننصرف إلى الإنجليزيّة في محتوى الشّبكة فنتعامل مع لغتنا ومجتمعاتنا وعالمنا وعصرنا كأنّنا وجدنا هكذا بدون لغة خاصّة بنا!!.

وحتّى لا نذهب مذهب المتشائمين أو الّذين لا يتابعون ما يجري فإنّنا لا بدّ أن نعترف – مقدّرين– بأنّ في المواقع العربيّة الشّبكيّة اليوم من يعمل بجدّ وبجهود مشكورة وناجحة في قطع شوط معقول على يد متخصّصين عرب في شركات عديدة طوّعوا شبكة العنكبوت للّغة العربيّة وأوجدوا قطاعاً صناعيًّا وطنيًّا متنامياً استطاع أن يتفوّق على قطاعات صناعيّة أخرى لم نستطع التّنافس فيها.

إنّ المطلوب هو شحنة وطنيّة وقوميّة تصيب الإرادات والعقول لأبنائنا حتّى لا نظلّ بعيدين عن ترجمة ما ندعو إليه بمناسبة وبغير مناسبة حول تشجيع الصّناعة الوطنيّة، ولكنّنا لا نطبّق ما ندعو إليه ودليل ذلك أنّ كثيرًا من العرب، عندما يريد الدّعاية في الشّبكة لتسويق بضاعته حتّى بين العرب أنفسهم، يستعين بشركات أجنبيّة لتصنع له مواقع بالإنجليزيّة بدلاً من العربيّة لمخاطبة المستهلكين.

صحيح أنّه قد يشكو البعض من عقبات وتحدّيات ذكرنا بعضها سابقًا وطالبنا بإزالتها والتّخفيف منها عبر عملٍ جاء على اللُّغة نفسها وعلى المواءمة مع الشّبكة واشتراطاتها، كما فعلت دول وشعوب ومجتمعات مع لغاتها، إذ قد يرى المتذرّعون باستعمال مواقع بالإنجليزيّة لشرح ما هو عربيّ أنّهم يواجهون في العربيّة عدم توحيد الأسس والقواعد المستخدمة في حركة التّعريب الشّبكيّ والحاسوبيّ. ولهذا كما ذكرنا أسباب لا تنفرد بها اللُّغة العربيّة أو منطقتنا المستعملة للعربيّة، ولكنّ من أسبابه الرئيسة في محاولة تكريسه هو تنافس الشّركات العاملة

الّتي تضخّم العقبات وتضع المحبّطات لينصرف غير القادرين على المعرفة والتّمييز إلى استمرار المطالبة بمواقع تقام على اللُّغة الإنجليزية.

إنّ الإنصاف يقتضي تقدير الشّركات العربيّة الّتي لم تقبل الذّرائع والتّبريرات فعملت وأنجزت في أن يكون المحتوى العربيّ على الشبكة قادرًا على الصّمود وقابلا للتطوّر، وأن تذلّل كلّ عقبة قائمة أو ستطرأ سواء جاءت من اللُّغة أم من الثّقافة.

ونعود إلى السّؤال أمام تلوين الإنجليزيّة للشّبكة العملاقة في حين تبقى العربيّة هي الأكثر انحسارًا كما أسلفنا، ففي حين تعتمد الإنترنت اللُّغة اللاتينيّة في كتابة العناوين – انظروا إلى أجهزتكم– لم تنجح البلدان النّاطقة بالعربيّة في إدخال لغتها إلى الإنترنت بما يكفي ويرضي، فمتى نستطيع إيجاد وجه عربيّ كامل ومشرق للإنترنت؟

أين المشكلة؟ لعلّ الأسباب أو المشكلة ليست بنيويّة خاصّة حين لا تكون الحروف الإنجليزيّة كافية لتمثيل الكلمات العربيّة، لأنها تعجز عن تمثيل حروف كالضّاد والطّاء والحاء والخاء والعين والغين والهمزة.. المشكلة في اعتقادي تكمن في سببين، أوّلهما: عدم اكتراث معظم البلدان العربيّة بالدّفاع عن لغتها وعدم استعدادها غالبًا لتمويل أبحاث وجهات خاصّة مهتمّة بهذه المسألة.

أمّا ثانيهما: فهو قلّة وجود اللُّغة العربيّة على الإنترنت إذ لا تزيد على 1% من مساحة الشّبكة العنكبوتيّة كما ذكرنا.

ويبرز سؤال هنا: إذا كان العرب في غالبيّتهم غير مهتمّين، فلماذا على شركة أمريكية مثل شركة ICANN أن تلعب دورهم؟ صحيح أنّه في البداية تمّ وضع الإنترنت بالإنجليزيّة فقط معتمدًا على نظام التّرميز المبنيّ على سبع خانات

حتّى لا يدعم إلا الحروف والرّموز الإنجليزيّة، ولكنّ التّصدّي من أطراف أخرى ولصالح لغات أخرى أسقط هذا الشّكل لتعبر لغات أخرى كاليابانيّة والصّينيّة وغيرها لتجعل من الإنترنت أكثر انتشارًا وقد قدّمت حلولاً واقتراحات، وقد فعلت جهاتٌ عربيّة أيضًا ولو بشكل أوّليّ ما فعلته اللُّغات غير الإنجليزيّة لتنظيم الأسماء الخاصّة بالنّطاقات العربيّة، ولكنّ السّؤال الّذي يُطرح في هذا السّياق من يعرّب؟ وما هي المعايير الّتي يجب الالتفات إليها في السّعي لتحقيق التّعريب؟

حيث يشترط أن تُوضع مقاييس موحّدة لتعريف مجموعة المعارف العربيّة المسموح استخدامها في كتابة النّطاقات العربيّة وأيضًا ثمّة ضرورة لوضع مقاييس موحّدة لهيئة هيكل الأسماء العربيّة. ولذا يجب تنظيم الأجهزة الخادمة (الحواسيب) الخاصّة بأسماء النّطاقات الرّئيسة الخاصّة باللُّغة العربيّة، كما يجب تأمين الحلول الفنّيةّ لدعم استعمال اللُّغة العربيّة على الإنترنت.

والمشكلة أنّه ما زال الدّعم العربيّ لهذه القضايا محدودًا، كما أنّ الاهتمام بالمحافظة على اللُّغة العربيّة في عصر الحاسوب والإنترنت والهاتف المحمول والبرمجيّات شبه غائب.. رغم أنّ العربيّة لغة رئيسة على الإنترنت بعد ارتفاع عدد مستعمليها وبعد الموافقة على استخدامها في كتابة عناوين المواقع، منهية بذلك احتكار اللاتينيّة وفاتحة الأفق للتّوسّع، ولذا فإنّ ترتيبها الآن العاشر بين أكثر اللّغات استخدامًا في الشّبكة العنكبوتيّة.

يقول الهندي سي سوبيا مخترع أول معايير استخدمت بلغات غير لاتينيّة: "مضى أكثر من عشر سنوات منذ قدّمنا إلى هيئة (ايكان تكنولوجيا) طلب إنشاء أسماء عناوين بلغات غير لاتينيّة، وفي كلّ مرّة كان الجواب يأتينا من نوع "نحن منشغلون جدًّا، تعلّموا الإنجليزيّة" باختصار، فإنّ التّحدّي لا بدّ من مواجهته، فالشّعوب الحيّة الّتي تقدّر لغاتها وتدافع عنها أصبحت الآن تلبسها سماعتها

الوطنيّة بعد انفتاح الشّبكة العالميّة وترميزاتها، وقد أصبح الآن بالإمكان استعمال القسم الثّاني من العنوان الّذي يكتب (COM) كوم للمواقع التّجاريّة أو (اورج) للمنظّمات باللّغات الإحدى عشرة غير الإنجليزيّة، وهذا التّغيير، وإن بدأ جزئيًّا، إلا أنّه يعتبر الأكبر في مجال الإنترنت منذ إنشائها، إذ إنّ اختيار هذه اللّغات الإحدى عشرة عن غيرها تمّ بناءً على طلبات وُجّهت إلى مستخدمي هذه اللّغات إلى الهيئة (ايكان)، وهناك دول سارعت إلى وضع عناوين مواقع بلغاتها من دون أن تنتظر قرارات الهيئة متّهمة الولايات المتحدة بالاستعمار الرّقميّ.. .

يبقى أن نذكر أنّ من تحدّيات استعمال الإنترنت على العربيّة هو استعمال لغة جديدة بين الشّباب تعكس ظواهر اجتماعيّة خطيرة، أبرز مظاهرها العزوف عن المشاركة في قضايا المجتمع، وهذا التّمرّد، إن جاز التّعبير، أخذ أيضًا شكل لغة حديثة موازية تشكّل محتوى الشّبكة العنكبوتيّة أو وسائل أخرى كالهاتف المحمول أو الرّسائل العديدة المبثوثة في S.M.S وغير ذلك. فالأنماط الّتي تظهر في الملابس والشّعر والسّلوك ظهرت أيضًا في استعمالات اللُّغة ومضمونها وأصابت حتى البناء اللُّغويّ وجرفته ودمّرت هياكله وصيغه.

فالإنترنت ليست وحدها المسؤولة عن تغيير لغة الشّباب، وإنّما أيضًا المصطلحات الأجنبيّة المنتشرة بينهم بخاصّة استعمال الإنجليزيّة لغةً للتّعامل في أماكن العمل مع ما يصاحب ذلك من تردّي التّعليم الجامعيّ الّذي لا يهتمّ أصلاً باللُّغة وصولاً إلى الدّراما وحتّى البرامج التّلفزيونية وما تقدّمه من ألفاظ شاذّة وهجينة.

وهذا ما نلمسه حين تتحوّل الكلمات الهجينة وغير الدّقيقة أو الّتي لا معنى لها ولا قيمة إلى مصطلحات تدخل وسائل الإعلام المختلفة. من جانب آخر بدأنا نلاحظ انتشار العديد من المصطلحات الإنجليزيّة إذ يتمّ تداولها كما هي ولكن

باللُّغة العربيّة، وذلك لعدم وجود رديف لها بالعربيّة في أغلب الأحيان بحيث أصبحت تلك المصطلحات على ألسنتنا جميعًا.

أمّا التّحدّي إزاء الشّبكة العنكبوتيّة فإنّ بعض الأجيال الطّالعة من الشّباب حاولت ابتكار لغتها الخاصّة للتّحاور الرّقميّ سواء عبر غرف الدّردشة على الإنترنت أو عبر الرّسائل القصيرة في الهواتف المحمولة، ويبدو أنّ عولمة الثّقافة وسيادة اللُّغة الإنجليزيّة على الحياة اليوميّة وشبكات الإنترنت لكثير من شبابنا ستؤدّي إلى ضعف التّواصل باللُّغة القومية، وهذا يجعل الطّفل الصّغير يصطدم بأكثر من لغة مستعملة وفي مستويات مختلفة، وهناك من أصبح يعفي أولاده من دراسة العربيّة باعتبار أنّ الوظائف تقتضي إجازة التّعامل مع الحاسوب ولغته الأساسيّة الإنجليزيّة.

إنّ المراقب يجد الجيل الشّاب أو جيل الإنترنت يلجأ إلى طريقة غريبة لعدم وجود حروف عربيّة في (النت) من حيث الصّوتيّات كالحروف الّتي ذكرناها، فيستبدل بالحروف المنطوقة عربيًّا الّتي لا وجود لها في حروف الهجاء اللاتينية أرقامًا تدلّ عليها وتشبهها إلى حدّ ما على مستوى الرّسم ولذا استبدل بالحرف حاء رقم 7 و بالعين رقم 3 وهكذا... .

باختصار، فإنّ الإنسان يفكّر بلغته الأمّ مهما كان الموضوع ومهما ابتعد بالزمان عن استعمال لغته... .

هناك ضعفٌ في خدمة اللُّغة حتّى في شكل النّحو والصّرف والمفردات والمعاجم وحيث ما زالت خارج الإنترنت، فكيف إذا أردناها محتوى للإنترنت في علوم الاجتماع والنّفس والاقتصاد ولغة الحواسيب..؟ إنّها تعاني من مشاكل موروثة، فكيف بنا إذ نرغب في تحميلها مشاكل حديثة أو قائمة من جهة ودفعها إلى قبول التّحديات المستجدّة من جهة أخرى ؟!! فهل سننجح؟

إنّ الدّعوة لاستخدام اللُّغة العربيّة كما هي من دون إعادة إنتاج وتصنيع عبر الحواسيب هي مسألة، وإن بدت سهلة للبعض وممكنة شكليًّا حين استعراضها على الشّاشة كما يحدث الآن، إلاّ أنّ الموضوع ليس سهلاً البتّة؛ لما تتمتع به اللُّغة العربيّة من خصائص في البنية والرّسم، وهذا يستدعي معالجة الوثائق ورسمها والكلام المنطوق واقتراح أشكال وأساليب جديدة، إذ يتوجّب علينا أن نرى كيف عمل أصحاب اللّغات الأخرى من غير الإنجليزيّة الّذين ولجوا عصر الشّبكة العنكبوتيّة، إذ أخذوا هذه العوامل بعين الاعتبار واستطاعوا أن يقدّموا لغاتهم على ما هي عليه من تعقيد في البنية والشّكل وحتّى شكل الكتابة ورسم الحروف.

إنّنا أمام مشاكل لا تعدّ ولا تحصى، ونحن بحاجة إلى دهمها ومواجهتها وحلّها أوّلاً بأوّل حتّى لا تتسع الشّقّة بين لغتنا القائمة غير المخدومة وبين المهمّة المتواصلة الّتي تمثّلها الشّبكة العنكبوتيّة في تطور مضامينها وتصاميمها الأولى الّتي تخدم لغة معيّنة.

إنّ كلّ ساعة تمرّ من دون أن نخدم لغتنا ونعدَّها لقبول التّحدّي وركب الإنترنت، بشكل يسمح لأجيالنا أن تبدع من خلال محتوى هذه الشّبكة، هي ساعة لا شكّ ستسجّل على رصيد تخلّفنا وتأخّرنا عن الرّكب العالميّ وعن بناء صورتنا وحضارتنا وإبداعات أجيالنا.

وقد يكون من أساليب إعادة تأهيل اللُّغة العربيّة وترويضها مع العصر ومتطلّباته أن يقوم لها تنظيم من العلماء يحميها كما الفرانكفونية كمنظّمة عالميّة للدّول والشّعوب النّاطقة بالفرنسيّة. حتّى لا تصطدم لغتنا حيث نصطدم شعوباً بتهم الإرهاب ومعاداة الحضارة الغربيّة وتهديد قيمها وأنماط معيشتها، لاسيّما أن اللُّغة هي وعاء الفكر بل إنها وسيلته إن لم تكن جزءًا منه.

هل نواجه أم نهرب من لغتنا الّتي بدأت تواجه الاتّهام في مضامينها فنذهب إلى اللّهجات العامّيّة لتخفيف الحملة علينا والابتعاد عن المضامين والألفاظ الّتي يهجم عليها الغرب ليدينها سواء في لغة الجهاد أو غيرها.

إنّ مضمون الإنترنت حين يكون من الاقتصاد والعلوم والحوسبة فإنّه يتخطّى اللُّغة شكلاً، ويصل حدّ الخطورة الّتي توازي خطورة الأسلحة، وبالتّالي يدخل إلى الصّراع، ومن هنا لا بدّ من العناية بالبرمجيّات وتكنولوجيا المعلومات لنحمي بذلك مضامين لغتنا وفكرنا وحتّى لا يجري تقديم مضامين لنا عبر الإنترنت كبديل عن مضامينا وذلك عندما يعمد غيرنا إلى تصنيع لغتنا أو الاستبدال بها باسم التّطوّر، كما تفعل دوائر أجنبية وغربية حاليًّا.

وأمام الموجة العاتية فإّن الكثيرين بدؤوا يقبلون هذه اللُّغة على شبكة الإنترنت ويستعملونها بعد أن أثبتت صمودها في التّعامل والتّواصل العنكبوتي والأثيري.

إنّني أخلص أيّها السّادة إلى القول: إنّ هناك تحدّيات كبيرة تواجه لغتنا العربية، بعضها جادّ وخطير وبعضها يمكن ردّه وتجاوزه، وينبغي ألا نخاف أو نجبن أو نتقوقع أمام هذه التحديات، وإنما علينا أن نخرج كما خرجت كثير من دول العالم للعمل على لغتنا؛ لتكون أكثر مرونة وقدرة على تشكيل محتوى المعارف والعلوم على شبكة الإنترنت، وأن نبحث عن أسباب الضّعف أو العوائق ونزيلها، وأن نعظّم أسباب القوّة ونعزّزها، فنحن لسنا وحدنا من يواجه ذلك في العالم، لكن لا يجوز أن نكون وحدنا من يدير ظهره إلى لغته ويهملها وينصرف إلى لغة أخرى يفقده استعمالها واعتمادها على المستوى الجمعي في زمن العولمة الهُويّة الوطنيّة والقوميّة.

باختصار وحتّى لا نظلّ نسرد الأوجاع وأشكال من الوصف والممارسات فإنّني أتوقّف عند ما يأتي:

أولاً: هذه اللُّغة الفضفاضة الجميلة بحاجة إلى رعاية مستمرّة وبما يتناسب مع توظيفها عبر محتوى الشّبكة العنكبوتيّة.

ثانيًا : لا بدّ من إعادة بناء معاجم لغويّة جديدة تعمد إلى تصنيف عمر المفردة وتاريخ دخولها واختيار المناسب في المعنى والشّكل لفرز ذلك إلى محتوى الشّبكة، وتدريب الأجيال عليه كلغة بديلة عن اللُّغة ذات المستويات المتعدّدة الّتي يجري صبّها في الحياة العامّة، فعندنا الفصحى المعقّدة والأقلّ تعقيدًا والسّهلة ولغة الأدب ولغة المعارف الأخرى، كما لا بدّ أن يجري وضع هذه المعاجم لتكون صالحة لاستعمال الشّبكة العنكبوتيّة كما المعاجم الأخرى الحديثة في اللّغات الأخرى من دون اللّجوء إلى جذر الكلمة أو غير ذلك من أساليب المعاجم العربيّة القديمة.

ثالثًا: إعادة تشكيل اللُّغة الجامدة والقديمة وتصنيعها لتقترب من العامّيّات، ثمّ تطوير العامّيّات وتفصيحها لتعتلي قواعد الفصحى، إضافة إلى صياغة لغة شاملة أقرب إلى لغة الصّحافة حتّى لا تهرب الأجيال الناشئة من صعوبة اللّفظ والرّسم والإملاء والقواعد وازدواجية الاستعمال ما بين اللّفظ والتّفكير وطبيعة اللُّغة الموروثة.

رابعًا: فكّ القداسة عن اللُّغة عند من يرون ذلك من أجل السّماح بإعادة إنتاجها بشكل جذريّ، ومن المعروف أنّ خدمة اللُّغة لا تتوقّف عند جانب معيّن، بل إنّنا بحاجة إلى مجامع موازية وجديدة تجمع ما بين علماء اللُّغة وعلماء الحاسوب وعلماء مصممي محتوى الإنترنت ليكون الطريق سالكًا في تطويع اللُّغة للمضمون وتطويع المضمون الجديد للُّغة.

خامسًا: عدم ترك الأجيال هكذا في العراء يشتكون لغتهم ويتصالحون عليها أو يتوافقون ويفرضونها بقوّة الاستعمال، فتصبح أخطاؤهم السّارية والمستعملة هي القواعد الّتي لا تستطيع بعد ذلك عزلهم عنها.

سادسًا: تخصيص الموازنات الكافية والكبيرة وتفريغ العلماء الأجلاء لخدمة هذه اللُّغة الّتي تراكمت وزاد اليابس في أعضائها فاحتاجت إلى تقليم وتشذيب.

سابعًا: ربط اللُّغة بالمعارف العلميّة وتأثير هذه المعارف عليها وجعلها تأخذ مكانتها في الاستعمال اللّغويّ المرن، وليس تطويع المعارف للغة، كما عملت بعض المجامع العربيّة، أو صناعة مفردات لم تستعمل؛ فالمعارف تاريخيًّا كانت تفرض مفرداتها ومضامينها الجديدة، والّذين يغلقون أبواب اللُّغة عن الاستعمال والتّطوّر من أبنائها إنمّا يحاولون خنقها ومنع الهواء والتّنفّس عنها بحجّة حمايتها.

ثامنًا: إرسال البعثات والمتخصّصين للاطّلاع على جهود الأمم والشّعوب الأخرى في صناعة محتوى الإنترنت من لغاتهم وكيفيّة تطوير لغاتهم كاليابانيّة والصّينيّة وغيرها لمعرفة أين كانت المشكلات، وكيف تغلّبوا عليها، وكيف استطاعوا أن يواكبوا ويبتدعوا ويبدعوا ويتفوّقوا.

تاسعًا: تشكيل (لوبيّات) ضاغطة باسم اللُّغة العربيّة ومن أجلها على أنظمة الحكم السّياسيّة في بلادنا لإيلاء العربية عناية أكبر ووضع معايير لاستعمال السّياسيّين للغتهم ولإدانة استهتارهم باللُّغة وللتّذكير بأنّ استعمال اللُّغة هو جزء من السيادة وأنّ استعمال اللُّغة الأمّ في التّخاطب بين أبناء الشّعب أو بين أبنائه وقادته... وحين لا تكون ضرورة للغات أخرى هو مظهر من مظاهر السّيادة والاعتزاز خاصّة في المنابر الدّوليّة.

فاللُّغة العربيّة لغة عالميّة اعترف بها وخاطب بها قادةٌ عرب شعوبَ العالم على منبر الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، وهذا يوجب الإمساك بهذا التّقليد وتعميمه.

بقي أن أقول: إنّ لغتنا العربيّة الجميلة في امتحان وعلينا أن نعمل لنجتاز الامتحان وأملنا في الأجيال القادمة المتسلّحة بالمعرفة.

اعتذر عن الإطالة وشاكرًا لكم حسن الاستماع والإصغاء.

التّعقيبات والمناقشات

- أشار **الأستاذ مأمون الحطاب** إلى أنَّ "الإنترنت" هي فضاءٌ تخيُّليّ يمكن تصوُّره من ناحيةٍ من النّواحي بأنّه مرآةٌ للواقع، وإنّنا، بلا شكّ، نلحظُ واقع مجتمعنا العربيّ الّذي تخلّف عن ركب الحضارة، وابتعد عن استعمال لغته السّليمة في حياته اليوميّة، فضعُفت اللُّغة نتيجة ضعف المتكلّمين بها، وهذا الواقع انعكس على هذا العالم الافتراضيّ "الإنترنت"، حيث إنّ "الإنترنت" لم تُوجِد تحدّيات أمام العرب تُعيقهم عن وضع محتوى لهم، بل فتحت لهم المجال ليضعوا محتواهم على الإنترنت، لكنّ العرب لم يضعوا محتوى من حيث الكمّ أو النّوع يتناسب مع حضارتهم العميقة الأصيلة، بل تمّ وضع المحتوى الّذي يتناسب مع فاعليّتهم الحضاريّة الحاليّة، إذ لا يوجد لهم فعلٌ حضاريٌّ الآن، وهذا سينعكس على المحتوى، فالتّحدّيات الفنيّة اللُّغويّة على "الإنترنت" تقلُّ مع الزّمن، وقد تمّ تجاوز أغلبها، إن لم يكن كلّها.

- ذكر **الدّكتور عبد اللّطيف عربيّات** أنّ هذه المحاضرة كمثيلاتها من المحاضرات الّتي استمعنا إليها في هذه النّدوة "اللّغة العربيّة والتّقنيات الحديثة"، أحيت الأمل فينا وفتحت المنافذ أمام عمل جادٍّ لدعم نهضة الأمّة بنهضة لغتها وعنصر هُويّتها الأولى، داعيًا مجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ أو الجهات المعنيّة المتعاونة معه إلى عمل لقاءاتٍ محدّدةٍ لعلمائنا الأجلاّء الّذين لمسنا، في هذه النّدوة، قدرتهم على العطاء وتقديم المفيد لنهضة الأمّة؛ أجْلَ دعوتهم إلى وضع مشروع نبدأ به، فنحن لا نبتغي مجرّد الحديث والوصف، بل نأمل أن تصبح اللُّغة أساسيّة في نواة الأمّة، وأن تكون عنوان نهضتها، وأن تحيا باستعمال أبنائها لها، وهذا يوجب وضع مشروع يبحث في الطُّرق الّتي توصّلنا إلى ما نريد بوضع وسائل تُعِينُ على استعمال اللُّغة السّليمة، والبحث عن مصادر للتّمويل، وهذا ليس صعبًا.

- أكّد **الدّكتور مشهور مشاهرة** أهمّيّة تحديد مشاريع دقيقة سعيًا لتبنِّيها وإقناع المسؤولين فيها، موضحًا أنّ في كلّ جامعة من جامعات الوطن وحدات بحوثٍ متخصّصة يمكنها القيام بمثل هذه المشاريع، ولكنّنا نطالب المتخصّصين بوصف هذه المشاريع وصفًا دقيقًا، وربّما يكون من التّوصية أن يرعى مجمع اللُّغة العربيّة فريق عملٍ من كلِّ بلدٍ وتُحَدّد لهم مهمّة، كأنْ يُناط بفلسطين موضوع التّرجمة، ويُوكل موضوع آخر إلى بلدٍ آخر... ، ويتمّ عقد اجتماع لهم جميعًا نهاية العامّ، ويُسأل كلِّ فريق عما قدّمه ويتحمّل المسؤوليّة، حتى لا نبقى في فلك إلقاء المسؤوليّات وتحميلها للآخرين.

- أبدى **الأستاذ وليد العناني** مجموعة من الملاحظات والتّساؤلات تعقيبًا على هذه المحاضرة، ابتدأها فيما يتعلّق بتطوير محرّكات البحث حيث ذكر أنّ هذا الأمر حسب اعتقاده الشّخصيّ متعلّقٌ بتطوير نظريّةٍ دلاليّة نستطيع أن نبني عليها محرّكات بحثٍ تصل بنا إلى المادّة الّتي نبحثُ فيها بحثًا دقيقًا، أمّا بالنّسبة لتعريب النّطاقات فقد أشار إلى قراءته مجموعةً من الأبحاث دَرَسَتْ هذا الموضوع في السّعوديّة، متسائلاً ما مدى اطّلاع هيئة تنظيم قطاع الاتّصالات على هذه الأبحاث الّتي أُنْجِزَتْ؟! ولِمَ لا تنشأ جمعيّات أو فروع للسانيّات الحاسوبيّة في الأردنّ؟!، فهذا مطلبٌ ملحٌّ، ومثل هذه الجمعيّات موجودة في معظم البلاد العربيّة، خاصّةً دول المغرب العربيّ، وما مدى التّعاون بين هيئة تنظيم قطاع الاتّصالات وصندوق البحث العلميّ في وزارة التّعليم العالي؟! مشيرًا إلى أنّ الباعث على تساؤله الأخير ما حدث له شخصيًّا عندما قدّم مشروعه المُتعلّق باللّسانيّات الحاسوبيّة إلى وزارة التّعليم العالي، وقد رُفِضَ لأنّه ليس من الأولويّات الوطنيّة.

- أكّد **الدّكتور غيث عبندة** أنّ سبب ضعف المحتوى العربيّ على الإنترنت عائدٌ إلى أنّ اللُّغة العربيّة ليست لغة علمٍ أو سياسة أو مالٍ ...، فأصحاب العلم والسّياسة والمال العرب ينشرون أعمالهم باللُّغة الإنجليزيّة على "الإنترنت"، فضلاً عن أسباب أخرى تمّ ذكرُها، ولا علاقة للأمور التّقنية بهذا الضّعف، فالبرمجيّات الحديثة تتيحُ – الآن– النّشر على الإنترنت وتصفُّح الصّفحات بيسرٍ وسهولة، كما أنّ محرّكات البحث الحديثة، مثل (google) تتعامل مع اللُّغة العربيّة – بشكل جيّد، فهي تستوعب قواعد الصّرف للكلمة العربيّة، فإذا قمت بالبحث عن بحيرة الملح – مثلا – تحصل على صفحات متعدّدة تذكر بحيرة الملح.

- أشار **الدّكتور محمّد بطّاز** إلى ما ذكره الدّكتور علي عبندة وهو أنّ المحرّكات المتاحة الآن تسمح لنا بوضع محتوياتنا كما تمكّننا من البحث عن بعض المفاهيم والمحتويات الّتي نريدها، مؤكدًا ما ذكره ومُضيفًا أنَّ المشكلة تكمن في وضع المحتويات، ولذا اقترح أن يتمّ البدء بوضع محتويات التّربية والبحث العلميّ، فهي محتويات موجودة، ولكن يستدعي وضعها في الإنترنت استعمال التّقنيات الّتي تُيسّر وضعها في السّياق الّذي وجدت فيه، ما يشجّع على الرّجوع إليها، واستعمالها وإثرائها وإبداء الرّأي فيها، أمّا بالنّسبة للمحركّات، فالعالم الغربيّ يبحث فيما يسمّى بالويب الدّلالي، كما يرتكز على توظيف الدّلالة ولا يقتصر على الصّرف والقواعد النّحويّة.

ثمّ تحدّث عن الاختصارات في كتابة الرّسائل القصيرة أو في الإنترنت، مشيرًا إلى أنّ هذا الأسلوب المرن في التّواصل بين الشّباب مرتبطٌ بالتّكلفة، فالاختصار يقلّل من التّكلفة الماديّة للرّسالة القصيرة، كما إنّه يختصر الوقت، ولذا فقد رأى

الدّكتور محمّد ضرورة ابتكار مصطلحات جديدة للُّغة العربيّة، تسمح بالاتّصال وفقًا لوسائل التّكنولوجيا الحديثة.

- أشار **الأستاذ حسن مبيضين** إلى أنّ اللُّغة العربيّة لغة فكريّة، وهي وعاءٌ لفكرٍ نابضٍ بالحياة، ونحن بحاجة إلى من يقدِّم الفكر الّذي تحمله اللُّغة العربيّة إلى الآخرين؛ لأنَّ انتشار الفكر اللُّغوي العربيّ في الغرب والدُّول غير العربيّة سيُساعد على وجود عددٍ كبيرٍ من المقبلين على خدمة اللُّغة العربيّة من أبناء الشُّعوب الأخرى ممّن اعتنقوا الإسلام، وبهذا سنجد يابانيًّا مسلمًا مبدعًا في مجال التّكنولوجيا، وفرنسيًّا متألّقًا في هذا المنتج العلميّ الحضاريّ، وأمريكيًّا وألمانيًّا... يخدمون لغتنا ويقدِّمون لها ما لم نستطع نحن تقديمه، لأنّهم أقدر على التّعامل مع لغة الآلة والمنتج العلميّ، والمنتج العلميّ هو منتجٌ حضاريٌّ، ولذا كانت الدّولة العربيّة الإسلاميّة في أوج حضارتها عندما انتشر الإسلام، وكان المنتج العلميّ – بعد أن تُرجم من الشُّعوب المختلفة الهنديّة والفارسيّة وغيرها إلى اللُّغة العربيّة – منتجًا حضاريًّا عربيًّا إسلاميًّا، فالعقليّة الإنسانيّة اصطبغت بالصّبغة الحضاريّة العربيّة الإسلاميّة، حيث استوعبت الحضارة العربيّة الإسلاميّة حضارات الأمم وعلومها، ووجدنا أنّ جلَّ علماء اللُّغة من غير أبناء العربيّة.
- توقّف **الدّكتور عودة أبو عودة** عند كلمة القداسة الواردة في المحاضرة، مستوضحًا المقصود بقداسة اللُّغة، إذ إنّ اللُّغة العربيّة الّتي نعمل بها قديمًا وحديثًا غير مقدّسة، ولم يُعهد من قبل ولا من بعد من قال بقدسيّتها وبأنّه لا يجوز أن يضاف إليها أو تتطوّر قواعدها ومناهجها، أمّا إذا كان المقصود بقداسة اللُّغة القرآن الكريم فهو كتابٌ مقدّس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكنّ منهج القرآن الكريم الّذي علّمنا إياه الله يدفعنا دفعًا إلى تطوير

اللُّغة، ويتّخذ الوسائل جميعها بغية تطويرها وجعلها مواكبة للتّقنيات الحديثة الّتي نتحدّث عنها، من حيث التّعريب هناك ألفاظٌ غير عربيّة عديدة أُدخلت في القرآن الكريم، ولكن كان دخولها بالسّياق العربيّ والصّياغة العربيّة، حيث صارت ألفاظًا عربيّة، وقوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلّكم تعقلون" يشير إلى إمكانيّة أخذنا الآن مصطلحاتٍ وألفاظًا من كلّ لغات العالم وجعلها في لغتنا من دون أن تتغيّر صفة العربيّة عن اللُّغة، إضافةً إلى أنّ القرآن علّمنا كيف نشتقّ، وكيف نحاكي الأصوات أحيانًا من أجل تنمية اللُّغة العربيّة تنمية متطوّرةً، قال تعالى: "قال هي عصاي أتوكّأ عليها وأهشُّ بها على غنمي" أهشُّ هو أخذٌ للصّوت الّذي يقوله الرّاعي وهو يسوق أغنامه هِشْ هِشْ، فَصُنِعَ من هذا الصّوت فعلٌ أضيف إلى اللُّغة العربيّة، ومثل هذا كثير، ولذلك فإنّ القرآن الكريم كتابٌ مقدّس لا يزاد عليه ولا ينقص، بل نتعلّم منه، أمّا اللُّغة فليست مقدّسة، ولنا أن نطوّر فيها ما شئنا، وأنْ نُدخل فيها من المصطلحات لكي نجعلها تواكب الحضارة الحديثة.

اختُتِمَت هذه المحاضرة بكلمة للدّكتور أحمد حياصات ردَّ فيها على ما أبداه بعض الحضور من تعقيبات، حيث استهلّ ردّه ببيان موافقته لما جاء في تعقيب الدّكتور عربيّات، إذ إننا بحاجة إلى الانتقال إلى المرحلة العمليّة لا الاكتفاء بمحاضرات تنظيريّة، فالأفكار الّتي طُرِحَت في هذه المحاضرة وغيرها أفكارٌ جديرةٌ بأن تنفّذ، وكلما استعجلنا كان ذلك أفضل؛ لأنّ الخطر القادم من العولمة أكبر، وإزالته يكون بتثبيت هذه القواعد، وتوعية أبنائنا بضرورة التمسُّك باللُّغة العربيّة، وهذا يحتّم قيام مجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ بتشكيل لجنة مهمّتها وضع مشاريع محدّدة وخطط عمل لهذه المشاريع تتضمّن بحثًا عن تمويل لإنجازها بالتّنسيق مع الدُّول العربيّة؛ فمن الواجب أن يكون عملاً عربيًّا موحّدًا ترتضيه الدُّول العربيّة جميعها ويحظى بمشاركتها.

وردًّا على تعقيب الأستاذ مأمون فقد أشار الدّكتور حياصات إلى أنّ أيّ صعوبة تبرز في أيّ وقت أمامنا هي تحدٍّ وعلينا اجتيازها، فقد أبرزت الشّبكة العنكبوتيّة تحدّيات أمام لغتنا العربيّة، وهذا يلزم علماء اللغُّة والنّاطقين بها بتكييف لغتهم ومفرداتها لتواجه هذا التّحدّي، أمّا ما تفضّل به الدّكتور مشهور فقد أكَّده الدّكتور حياصات مُضيفًا أنّنا بحاجة إلى عملٍ مؤسسيّ عربيّ تشارك فيه الدُّول العربيّة كافّة، ويوفّر له التّمويل اللازم لتفريغ فرقٍ متعدّدة، فضلاً عن ضرورة إعداد أشخاصٍ للتّعامل مع قضيّة إدخال اللُّغة العربيّة إلى مضمون الإنترنت أو إبرازها في الإنترنت، ثم انتقل إلى ما طرحه الأستاذ وليد من ملاحظاتٍ واستفسارات، ذاكرًا أنّه رغم وجود جهودٍ في تطوير محرّكات البحث وتطوير النّطاقات إلاّ أنها متواضعة جدًّا، أمّا الاقتراح في إنشاء جمعيّات أو فروع للسانيّات الحاسوبيّة في الأردنّ، فقد ثمّنه الدّكتور حياصات، مضيفًا أنّ من الواجب أن لا يترك العمل في هذه الجمعيّات للجان غير متفرّغة أو للمتطوّعين، بل يفترض أن يكون هناك أشخاصٌ متخصّصون ومتفرّغون يبذلون كلّ جهدهم خدمةً للغتهم، أمّا السُّؤال عن مدى تعاون هيئة تنظيم قطاع الاتّصالات مع البحث العلميّ، فقد أجاب أنّ هيئة تنظيم قطاع الاتّصالات جهةٌ منظِّمة لشركات الاتّصالات في المملكة، ولها نظامٌ تحتكم إليه، وربما لا يوجد في هذا النّظام ما يتيح إجراء هذا التّعاون، لكنّ هناك 1% من موازنة شركات الاتّصالات مخصَّصًا لقضايا البحث العلميّ، شأنها في ذلك شأن الشّركات الأخرى في المملكة، وانطلاقًا ممّا سبق يمكن للهيئة أن تدعم أيّ بحثٍ يتعلّق باللّسانيّات الحاسوبيَّة أو أيّ موضوع لغويّ أو علميّ، وذلك بالتّنسيق مع الشّركات الأخرى، وتسهيل مهمّة الباحث معها، فالشّركات تبحثُ – أحيانًا– عن رعايةٍ رياضيّة أو اجتماعيّة... لتُشْعِر النّاس بأنّها تؤدي دورًا مهمًّا في المجتمع.

ثمَّ توجّه إلى الدّكتور غيث عبندة قائلاً إننا رغم إعجابنا –جميعًا– في موضوع محرِّك البحث (google)، حيث يستطيع أن يصرِّف الكلمات، ويستخرج بعض النّتائج، إلا أنّ هذه الإمكانيات متواضعة أمام ما نفكّر فيه –نحن العرب– في أن تكون هناك آليّةٌ للبحث عن المعلومات ونشرها، مشيرًا إلى أنّ (google) ربّما قد استفادت من بعض العرب، حيث تمّ الطلب ممّن يتقنون اللُّغة العربيّة أن يُصرِّفوا الكلمات العربيّة وغير ذلك، فإذا كانت شركة أجنبيّة تتعامل مع عشرات اللُّغات القائمة في هذا العام، كرّست وقتها وجهدها لتطوير آلة للبحث، فالأجدر أن يقوم العرب بتطوير هذه المحرّكات.

وقد أبدى موافقته لما تفضّل به الدّكتور بطّاز المتعلّق بالاختصارات على الإنترنت والهاتف المحمول، فهي أسلوبٌ مرنٌ في إرسال المعلومات، ومن هذا المنطلق تكمن ضرورة وجود المرونة الكافية في أيّ لغةٍ أو نظامٍ للاختصار، وبهذا يتمّ تقليل الكلفة، موضحًا أنّ تشكيل فريق يضمّ علماء اللُّغة وعلماء الحاسوب في الوقت نفسه ضرورةٌ لإيجاد اختصارات مقبولة ومشروعة، وهذا يدعو إلى وجود تخصُّصٍ في إحدى الجامعات الأردنيّة يربط اللُّغة العربيّة بالحاسوب على مستوى البكالوريوس أو الماجستير، فيتمُّ بذلك وجود بعض الشّباب المطّلعين على علوم اللُّغة العربيّة وعندهم قدرات حاسوبيّة.

ثمّ توجّه بالشّكر إلى السّيّد حسن مبيضين على ملاحظاته، قائلاً إننا بحاجة إلى مزيد من العمل الجادّ للخروج من البوتقة الّتي نعيشُ فيها.

وقد اختتم الدكتور حياصات كلامه بالإشارة إلى ملاحظة الدّكتور عودة أبو عودة مؤكّدًا أنَّ المقدَّس هو القرآن الكريم والأحاديث النبويّة، فلا يجوز أن يتمّ التّصرّف فيهما، وهذا نتّفق عليه جميعًا، ولكنّ هناك من أعطى القداسة للُّغة

وأصرّ على أنّه لا يجوز تكييف اللُّغة أو تطويرها أو إدخال كلمات جديدة إليها، ولذا تمّت الدّعوة إلى التّصرُّف باللُّغة وفكّ القداسة عنها.

المحاضرة الخامسة

اللُّغة العربيّة في لغة الهاتف المحمول: قضايا وحلول

إعداد: د. فوّاز أحمد الزّغول

الجامعة الأردنيّة–عميد كلية الملك عبدالله الثّاني لتكنولوجيا المعلومات

والسّيّد جناح حباشنة

مساعد مدير المكتب الأقليمي–أكاديميّة الفيصل– فرع الأردن

الثلاثاء 13 جمادى الآخرة 1429هـ- 17 حزيران 2008م

يسرُّني في البداية أن أتقدّم بعظيم الشّكر والتّقدير إلى مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ الّذي عوّدنا دائمًا أن تكون مواسمه الثّقافيّة ذات تماس مع ما يشغل الفكر ويمسّ اهتمامات المجمع ويلامس قضايا جوهرية في مجالات المعرفة والفكر، وهذا ما ينبئ عنه اختيار قضايا هذا الموسم السّادس والعشرين، حيث يأتي اختيار موضوع "اللّغة العربيّة والتّقنيات الحديثة" دليلاً واضحًا على حكمة المجمع ومعرفته وتواصله واهتمامه وتوجّهاته وتواصله مع الثّورة المعرفيّة المعاصرة الّتي شملت سائر جوانب الحياة.

ويأتي موضوع هذه المحاضرة منسجمًا مع هذا التّوجّه، حيث يتناول موضوع "اللُّغة العربيّة في الهاتف المحمول: قضايا وحلول "إذ أصبح الهاتف المحمول وسيلة لا غنى لأيّ منّا عنها وتجاوزت وظائفه حدود المهاتفة والتّحدّث إلى مهمّات أكثر تعقيدًا وتنوّعًا.

1-مقدّمة:

لا ينكر أحدٌ أنّ العصر الّذي نعيشه هو بحقّ عصر التّقنية ، حيث ساد العالم خلال السّنوات الأخيرة موجة من النّشاط التّقنيّ القائم على نشاط علميّ مكثّف، وصلت تلك الموجة إلى حدّ الثّورة التّقنية الّتي شملت جميع ميادين الحياة على كوكب الأرض ، بل تعدّدت حدود كوكب الأرض إلى غيره من الكواكب الأخرى في هذا الكون الفسيح، تأتي التّقنية كلّ يوم بجديد، وقد يتناسى الإنسان في غمرة انبهاره بما حقّقته له تطبيقات تلك التّقنية من رفاهية أنّها سلاح ذو حدّين وأنّ لها وجهًا آخر بغيضًا، يظهر هذا الوجه عندما يتعدّى علماء التّقنية وخبراؤها الحدود الأخلاقيّة في بحوثهم، كما يظهر أيضًا حينما يسيء الإنسان استعمال تلك التّقنية فيستعملها في غير موضعها ولغير الهدف الّذي صُمّمت من أجله.

يبقى الإنسان في حيرة بين إيجابيّات التّقنية وسلبيّاتها خصوصً ا في عالمنا العربيّ الّذي يعدّ مستهلكًا شرهً ا للتّقنية غير مشارك في إنتاجها غير متقن للغتها غير مدرك لأبعادها غير آبه بوجهها الآخر، وينظر السّواد الأعظم من الأفراد في عالمنا العربيّ إلى التّقنية على أنّها إيجابيّة دائمً ا، لذا فهم يتصوّرون أنّ اقتناء الأجهزة الحديثة والبحث عن كلّ ما يستجدّ منها لهو الدّليل على التّقدّم التّقنيّ ومسايرة العصر، ومن ثمّ نرى هؤلاء الأفراد يتبارون في اقتناء الأحدث والأغلى من تلك الأجهزة بل ويتفاخرون بذلك في الوقت الّذي يجهل بعضهم أبسط قواعد تشغيل تلك الأجهزة.

وقد جاء اختيار لغة الهاتف المحمول لتكون موضوع هذه المحاضرة نظرًا لانتشارها بين مستخدمي الهاتف المحمول بصورة كبيرة، فلا نكاد نجد أحدًا لا يمتلك هذا الجهاز ويستخدمه، ولأنّ التّعامل مع لغة المحمول أصبح من المسلّمات، فقد صار من الضروري التّوقّف عند هذه اللُّغة وبيان ماهيّتها وأسباب انتشارها والأخطار الّتي تلحق باللُّغة العربيّة نتيجة ذلك.

2-اللُّغة العربيّة في لغة الهاتف:

عندما نتحدّث عن اللُّغة العربيّة في لغة الهاتف المحمول فإنّنا نقف أمام مسارَين هما المسار التّقنيّ، والمسار الوظيفيّ.

فمن حيث المسار التّقنيّ نجد أنّ أجهزة الهاتف المحمول قد زوّدت بنظام تشغيل يتيح الكتابة بالعربيّة، فالحرف العربيّ بأشكاله كافّة متاح على هذه الأجهزة شأنها شأن الحواسيب وسائر الأجهزة المعرّبة.

وتتيح هذه التّقنية لمستخدمي الأجهزة المحمولة اختيار اللُّغة الّتي يريدون التّواصل أو التّعرُّف على خصائص الجهاز من خلالها.

أمّا المسار الوظيفيّ فأعني به توظيف ما هو متاح بصورة تحفظ للُّغة نظامها وللحروف أشكالها العربيّة وللمفردات معانيها الدّالّة وفق ما هو متعارف عليه.

والملاحظ على اللّغة المستعملة في الهاتف المحمول أنّها لغة ذات رموز وحروف خاصّة ظهرت في الأجهزة المحمولة من خلال تقنية الرسائل القصيرة (SMS)، وتتميّز هذ هااللُّغة بسمات خاصّة، إذ إنّها أصبحت بديلاً للغة الشّارع والمقاهي والجلسات العامّة، فبرزت بوصفها لغة التّواصل بين مستعمليها والّذين تغلب عليهم فئة الشّباب، وهذه اللُّغة هي:

١ –لغة هجينة بين لغات مختلفة (منها العربيّة والإنجليزيّة وظهر بذلك مصطلح (العربيزي) بصور عدّة منها:

أ. كتابة الكلمات بالحروف الإنجليزيّة واستبدال الأرقام بحروف لا يوجد لها نظير في اللّغة الإنجليزيّة مثل keef 7alak و assalamo 3laikom وغيرها .

ب. استخدام رموز خاصّة بدلاً من الحروف العربيّة نحو (الرقم 7) يقابل حرف الحاء، والرقم ('7) تقابل حرف الخاء وهكذا.

ج. كتابة الكلمات الإنجليزيّة بحروف عربيّة مثل (مسّج، كانسل) .

٢ –إنّ اللّغة المستعملة لا تخضع لقواعد اللّغة المتعارف عليها لاعتمادها على الاختصارات.

٣ - إنّها لغةٌ تكثر فيها المختصرات الخاصّة، فيتمّ التّعبير عن المشاعر بالرّموز مثل:

- العلامة :) المعنى : ابتسام

- العلامة : (المعنى : حزن

- العلامة : ‘(المعنى : بكاء

٤ تمتاز هذه اللُّغة بكونها لغة (مشفّرة) لا يفهم معانيها إلاّ من يستعملها.

وجدول رقم 1 يبين نماذج من لغة (الشات) ومختصرات وبدائل الحروف.

جدول رقم 1

المختصر	الكلمة
c u soon	see you soon
c o z	because
ho w r u	how are you
4m	for me
2m e	to me
me 2	me too
2da y	today
2m oro	Tomorrow
pic	picture
sm b	some body
asl	age/ sex/ location ?
gv me	give me

أمّا الحروف العربيّة المستعملة في الهاتف المحمول ولا يوجد لها نظائر في اللُّغة الإنجليزيّة فقد أوجد لها مستخدمو المحمول بدائل وفق ما هو وارد في جدول رقم 2.

جدول رقم 2

الرّمز بالإنجليزيّة	الحرف العربيّ بصوره المختلفة			
2	أ			ء
a	ا	—		ا
b	ب	بـ	ـبـ	ب
t	ت	تـ	ـتـ	ت
s / th	ث	ثـ	ـثـ	ث
g / j	ج	جـ	ـجـ	ج
7	ح	حـ	ـحـ	ح
5 / 7' / kh	خ	خـ	ـخـ	خ
d	د	—		د
z / th	ذ	—		ذ
r	ر	—		ر
z	ز	—		ز
s	س	سـ	ـسـ	س

sh	ش	شد	شد	ش
S / 9	ص	صد	صد	ص
D / 9'	ض	ضد	ضد	ض
TH / T / 6	ط	ط	ط	ط
Z / TH / 6'	ظ	ظ	ظ	ظ
3	ع	عـ	ع	ع
gh / 3'	غ	غـ	غ	غ
f / ph	ف	فـ	ف	ف
q / 8 / 9 / 2	ق	قـ	ق	ق
k	ك	كـ	ك	ك
l	ل	لـ	ل	ل
m	م	مـ	م	م
n	ن	نـ	ن	ن
h	ه	هـ	ه	ه
w	و	—		و
I / y	ي	يـ	ي	ي

ونلاحظ من خلال استعراض هذه الرموز ما يأتي:

١ - استُبدِلت الأرقام بالحروف الّتي لا توجد لها نظائر صوتيّة في اللُّغة الإنجليزيّة.

٢ - كتبت الكلمات بلفظها العربيّ بحروف إنجليزيّة.

٣ - طوّعت بعض المفردات الإنجليزيّة إلى قواعد الصّرف العربيّ ونظام اللّغة العربيّة الصّوتيّ، وتجري معاملتها معاملة الكلمات العربيّة في الاشتقاق والتّصريف ونحت الأفعال والصّفات والمصادر منها، فيقول سأتلفن بدلاً من سأهتف وفنّش من (فينش finish الإنكليزية) بدل أنهى، وفيَّش من (فيش fich الفرنسية) بدل سجل، و مسّج وسيّف وغيرها .

٤ - إنّ الرّموز أصبحت جزءًا لا يتجزّأ من اللّغة، وإنّ الرّمز المختصر يعبّر عن كلمة مكوّنة من حروف عدّة.

3-أسباب انتشار لغة المحمول:

تشير الدّراسات والإحصاءات إلى أنّ جلّ مستخدمي هذه اللّغة هم من فئة الشّباب، ويعود ذلك لأسباب عدّة منها:

١ - أنّ الشّباب هم الأكثر استخدامًا لوسائل التّقنية الحديثة، وهم الأقدر على توظيفها واستثمار كلّ ما تتيحه هذه التّقنيات.

٢ - يهدف مستخدمو لغة المحمول (الشات) إلى توفير مساحة من الحرّيّة والخصوصيّة والسّرّيّة الّتي لا تتيح لغيرهم معرفة ما يدور بينهم من حوارات.

٣ – هذه اللُّغة مناسبة للاختزال والاختصار وتوفير الجهد والمال ، حيث إن الكلفة تحسب بالحجم.

٤ – يتخلّص مستخدمو هذه اللّغة من مشكلات ضبط الكلمة بالحركات والوقوع في الأخطاء الإملائية.

٥ – تمنح مستخدميها القدرة على الاختصار والإيجاز، فيتمّ التعبير بأقل عدد من الكلمات.

٦ – وإذا ما أضفنا إلى ذلك الأسباب التّقنيّة المرتبطة بسعة ذاكرة الجهاز وقدراته على التّخزين، فإنّنا نجد أنّ اللّجوء إلى هذه اللّغة، حسب رأي مستخدميها، يبدو سهلاً ومقبولاً ما دام قادرًا على تحقيق التّواصل الّذي هو غاية اللّغة ووظيفتها.

وفي دراسة له تحت عنوان «ثقافة الشّباب العربيّ» يرى د. علي صلاح محمود أنّ اختيار الشّباب ثقافة ولغة خاصّة بهم، هو تمرّد على النّظام الاجتماعيّ ، لذا ابتدعوا لونًا جديدًا من الثّقافة لا يستطيع أحد فكّ رموزها غيرهم ، وفي هذا السّياق حذّر في دراسته من ظهور "لغة موازية " يستخدمها الشباب العربي في محادثاتهم عبر الإنترنت تهدّد مصير اللّغة العربيّة في الحياة اليوميّة لهؤلاء، وتلقي ظلالاً سلبيّة على ثقافة الشّباب العربيّ وسلوكه. وقد فسّر لجوءهم إلى لغة حديثة بشعورهم بالاغتراب الّذي يدفعهم إلى التّمرّد على النّظام الاجتماعيّ، وتكوين عالمهم الخاصّ بعيدًا عن قيود الآباء، وكقناع في مواجهة الآخرين.[1]

4-مخاطر استخدام لغة المحمول على اللّغة العربيّة:

إنّ خطورة استعمال هذه اللّغة في التّواصل والتّحدث الّتي لا يعيها كثير من الشّباب اليوم، تندرج في إطار خطط الغزو الثّقافيّ، والدّعوة إلى الكتابة باللّهجة العامّيّة، و تغيير شكل حروف اللّغة العربيّة واستبدال اللغة اللاتينية بها ما سيؤدّي لاحقًا إلى انحسار الثّقافة المجتمعيّة.

ومن الأخطار الّتي تنشأ نتيجة لذلك أنّ الأجيال القادمة ستنقطع عن تراثها ولغتها، وسيُصبح التّواصل الثّقافيّ بين أبناء الأمّة الواحدة لا يتمّ إلا بلغة وسيطة، وعلى الأعمّ الأغلب ستكون اللّغة الإنجليزيّة، وقد خلص الدّكتور عبدالنبي اصطيف في دراسة له عن لغة الطّفل العربيّ – وهي لغة دون شكّ ستكون متأثّرة بلغة (الشات) والمحمول لفظًا وكتابة – إلى أنّ أخطار الضّعف اللُّغويّ بين الأجيال ستؤدّي إلى:

أ- ضعف الرّابطة اللّغويّة التّلقائيّة بين أفراد البلاد العربيّة ، وهي نتيجة لانقسام اللّغة إلى مستوى مكتوب وآخر منطوق بالممارسة، وتفرّع كلّ منها إلى فروع ولهجات، واللّهجات كثيرًا ما تكون عائقًا يحول دون الفهم بين أبناء القطر الواحد فضلاً عن أبناء الأقطار المختلفة، فلم يعد للأقطار العربيّة لسان واحد، وإنّما اختلف اللسان بينهم باختلاف أوطانهم.

ب – ضعف الأداء اللّغويّ، وهي ظاهرة تُعزى إلى وسيلة الإبلاغ وتشغل الفكر أكثر ممّا تشغله مادّة التّفكير فيقصر عن الخلق والإنتاج.

ج – انعدام وسيلة لغويّة موحّدة تمكّن الطّفل بمجرّد ارتفاع الأمّيّة عنه من التّعبير عن آرائه وغاياته شفاهيًّ وكتابيًّ ببعد واحد، فعمليّة الإفصاح تتقاسمها السّبل المتراكمة والمتعاظلة.

د- الشّعور بالغربة النّاتجة عن تعدّد الواجهات اللّغويّة: فالطّفل العربيّ يحسّ بوعي صريح أو بوعي غامض بأنّه غريب بين لغة رسميّة، ولغة تعامليّة، ولغة مزاحمة يؤكّد أنصارها أن العجز والقصور في اللّغة لا في الفهم.[2]

"وأخطر ممّا سلف كلّه، أنّ اللّغة العربيّة لم تعد الوعاء المعرفيّ الّذي كانت تحتلّه في الحضارة الإنسانيّة، كما كان حالها في العصور الوسطى ، فما ينتجه العرب من بحوث علميّة في مختلف مجالات المعرفة والعلوم والتّقانة باللّغة العربيّة أقلّ ممّا تنتجه أيّة دولة متقدّمة، بل إنّ ما ينتجه الكيان الصّهيونيّ من بحوث يحرص أصحابها على نشرها باللّغة العبريّة أكثر بكثير مما تنتجه الدّول العربيّة مجتمعة، ومعنى هذا أنّ الطّفل العربي الطامح إلى تنمية معارفه وتعميقها لن يستطيع أن يلجأ إلى ما ينتج بالعربية من معارف لأنها لن تطفئ ظمأه المعرفي بأي حال من الأحوال، وعليه أن يتقن لغة أجنبية يستطيع من خلالها أن يرضي طموحه العلمي في الارتقاء بمعارفه وحقل تخصّصه مهما كان هذا التّخصّص لصيقاً بهويّته".[3]

وتظلّ المشكلات النّاتجة عن انتشار لغة الهاتف المحمول كثيرة ، وستنعكس من دون شكّ على المستوى المعرفيّ والعلمي والتّربويّ للأجيال القادمة، فضلا عن تأثيراتها السّلبيّة على التّعليم والثّقافة، وهو ما يدعو المخلصين من أبناء هذه الأمّة إلى الالتفات إلى ذلك، ودراسة الحلول الممكنة والبدائل المناسبة الّتي لا تدعو إلى حرمان المجتمع من الإفادة من منجزات العصر، ولكنّها تضع بين يدي الأجيال حلولا ممكنة وبدائل مناسبة.

5-الحلول المقترحة والتّوصيات:

لاشكّ أنّ حلولا كثيرة يمكن اقتراحها لمواجهة مخاطر انتشار لغة المحمول إلا أنّ أيًّا منها لن يكون ناجحًا ما لم يكن مقنعًا ومناسبًا ويجد الإقبال من مستعملي التّقنيات الحديثة.

وأشار د. حسين جمعة في مقالة منشورة في مجلّة الفكر السّياسيّ أنّ المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم (أليكسو) قد دعت في أكثر من مناسبة إلى ما يأتي:

١ - العمل القوميّ الثّقافيّ التّربويّ: وهو عمل ينبغي أن يستند إلى مبدأ التّعاون الفاعل والمتكامل بين الدّول العربيّة لإحداث تنمية ثقافيّة وفكريّة وتربويّة لا تنشغل بالنّزاعات المحدودة، ولا بالاختلاف الإقليمي، ولا بالتّباين المذهبيّ أو الطّائفيّ.

٢ - التّراث العربيّ والإسلاميّ: إنّ العناية بهذا التّراث وإبرازه بأسلوب ناجح وجذّاب باعتباره دافعً ا لنهوض الأمّة وليس باعتباره مادّة للاختلاف والفرقة يعدّ ضرورة لا مناص منها.

٣ - اللّغة العربيّة: إنّ نشر اللّغة العربيّة في الدّاخل والخارج مهمّة حيويّة للأمّة لإحداث التّجانس الدّاخليّ، ولإقامة حوار ثقافيّ معرفيّ وعلميّ ومنهجيّ عالميّ يستند إلى التكافؤ والمساواة... وهي قادرة على الوفاء بمتطلبات العلم والمعرفة... .

٤ - إقامة تعاون دوليّ حقيقيّ لتنمية الثّقافة العربيّة والإسلاميّة مع الآخر وفق مفهوم الحوار الإيجابيّ... فهذه الثّقافة بما تملكه من خصائص ذات بعد أخلاقيّ وإنسانيّ يعترف بالآخر ويؤمن بتميّزه.

٥ – ترى الدّكتورة فيحاء عبد الهادي – أستاذة الأدب العربيّ بجامعة غزّة– أنّ أمام الأسرة حلولا ممكنة لتلك المشكلة، منها استغلال اهتمام الطفل العربي بالقصّ؛ فالقصّ يحتلّ مكانة كبيرة في مرحلة الطّفولة، حيث يستمع الطّفل للحكاية بآذان مصغية وعيون مفتوحة، ودهشة غير محدودة يطلق خلالها العنان لخياله معبّرًا عن توق فطريّ لدى الإنسان منذ نشأته إلى عالم سحريّ ، فيجب على الأسرة ألا تواجه الطّفل حين يبدأ بالتّساؤل خلال رحلته المعرفيّة، بسدٍّ من المعوقات ولغة ضعيفة تسهم في تراجع دور اللّغة في تكوين شخصية الطّفل ، وتؤكّد الدّكتورة فيحاء أنّ من الممكن أن تأخذ اللّغة من خلال القصّ أبعادًا أشمل وأوسع من كونها مفردات وألفاظًا، فنكوّن من خلالها الشخصية ونصقل اتخاذ القرار ونعزّز لدى الطفل هويّته.

٦ – أمّا الدّكتور أحمد راغب – أستاذ الصّوتيات بجامعة الملك سعود– فيرى أنّه من الممكن أن نفعّل المكنونات اللّغوية داخل الأطفال عن طريق تنظيم نشاطات لغويّة، يكون محتواها اللّغة السّهلة البسيطة، بعيدًا عن التّقعّر والتّصعيب، مثل الحرص على إشراك الأبناء في مسابقات اللّغة والقصّة والرّواية، بل وعمل مسابقات داخل الأسرة نفسها، وتهيئة جوّ لغويّ سليم من خلال إحياء روح التّنافس على الخطابة مثلاً أو الشّعر بين الأبناء.

ويرى أيضًا أنّه لا بدّ من إنشاء علاقة صحّيّة وإيجابيّة بين الأولاد وأعلام اللّغة وروّادها، فلا يصحّ أن ينشأ الطّفل العربيّ و هو لا يعرف إلا القليل عن طه حسين أو العقّاد أو شوقي ضيف، بل يجب على الأبوين الحرص على تعريف هؤلاء الأعلام للأبناء وربطهم بأعمالهم ربطًا مباشرًا منذ الصغر.

٧ – وفي سياق الحلول المطروحة يرى الدّكتور عبد الله ال طرطاوي – أستاذ الأدب العربيّ ونائب رئيس جامعة القاهرة لش ؤون خدمة المجتمع– أنّ ثمّة أهمّيّة قصوى لإدراك تطوّر اللّغة على أنّها كائن بشريّ، فمشكلة اللّغة الهجين أو المشوّهة المنتشرة في أوساط أبنائنا يكمن مضمونها في أنّ ثمة فريقين أحدهما يريد العودة إلى التّقعّر والتّشدّق والوقوف عند ما وصل إليه المجتمع القديم من مفردات وألفاظ، والفريق الآخر يهاجم اللّغة وقواعدها ويدعو إلى تركها على عدّة أسس لا مجال لها من الصّحّة، والموازنة هنا مطلوبة ، حيث لا بدّ من مراعاة التّطوّر واست عمال الألفاظ السّهلة الميسّرة بعيدًا عن التقعّر والمبالغة.

فثمّة لغةٌ قويمة معاصرة تنتشر في بعض وسائل الإعلام المحترمة في الفضائيّات والصّحف، فلماذا لا يتمّ الاعتماد عليها كمرحلة نحو العودة إلى اللّغة الرّصينة والمُحكمة؟

ويؤكّد الدّكتور الطّرطاوي أنّ إقناع الآباء والأمّهات بأهمّيّة اللّغة العربيّة وأهمّيّة تقويمها لدى الأبناء أمر متعلّق بالتّيسير والثّقة بالذّات الحضاريّة، كما يدفع في اتّجاه التّوصية بضرورة عودة اهتمام الآباء بمجالس الآباء في مدارس أبنائهم والتشاور مع أعضائها في كيفيّة تنمية اللّغة العربيّة لدى أبنائهم، حيث قلّ التّركيز على تلك المجالس الّتي كان يخرج الآباء منها قديمًا بخطط وجداول لتنمية مهارات أطفالهم، كما كان يتم التواصل بوساطتها بين الأسر بما يعم بالإفادة على الأبناء.

ويؤكّد الدّكتور الطّرطاوي أنّ بعض الأبناء تظهر لديهم مواهب عديدة متعلّقة باللّغة كالشّعر، والخطابة، والكتابة والتّأليف من صغرهم، وتندثر لعدم اهتمام أسرهم بها وعدم الحرص على تنميتها.

٨ - أمّا الدّكتورة مروة نبيل - أستاذة التّربويّات بجامعة حلوان- فترى أنّ تعلّق الطّفل بالنّموذج في حياته وسيلة رائعة لتدشين قواعد اللّغة وحبّها لديه، فدائمًا ما نرى أنّ المهتمّين باللّغة كان لديهم مثُل عليا يقتدون بها متمثّلة في أشخاص كانوا أيضًا يهتمّون باللّغة، فإذا أحبّ الطّفل والده وارتبط به أكثر وكان الأبّ يتحدّث لغة سليمة ويحبّ الشّعر وعلوم اللّغة، نجد شخصيّة الطّفل تتعلّق -بشكلٍ أو بآخر- بنسبة معيّنة من ذلك الاهتمام.

وفي نهاية كلامها تؤكّد د. مروة أنّ على الأسرة مسؤوليّة كبيرة، بل هي في مقدّمة المؤسّسات المسؤولة عن تراجع اللّغة العربيّة لدى الأبناء، ومن بعدها تأتي باقي المؤسّسات؛ كالمدرسة ووسائل الإعلام والأندية والبيئة... .

وأخيرًا ستظلّ اللّغة العربيّة في أجيالنا حبيسة التّخلّف على شتى المستويات، ولن تعود إلى سابق عزّها إلا بالعمل على ارتقاء المكانة الأعلى بين الأمم، والتّاريخ يؤكّد ذلك؛ فعصور الازدهار والمدّ الإسلاميّ الحضاريّ لم يُرصَد فيها أيّ مظهر من مظاهر تراجع اللُّغة مهما تعدّدت اللّغات الأخرى، وصدق المؤرّخون حين تنبؤوا بسقوط الأندلس مع بداية انهيار اللغة فيها.

التّعقيبات والمناقشات

- استهلّ **الدّكتور عبد الكريم خليفة** "رئيس مجمع اللُّغة العربيَّة الأُردنيّ" التّعقيب على هذه المحاضرة بالإشارة إلى واقع اللُّغة العربيَّة والخطر الّذي يتهدّدها، فهناك سياسات تحاك ضدّ اللُّغة العربيّة إضافة إلى الإهمال والتّهميش المتعمّد لها، ولكنّ هناك تحدّيات داخليّة تواجه لغتنا تستلزم أن نحدّدها ونعمل على تجاوزها، فما هي المشكلات الّتي تواجه علماءنا المتخصّصين بالتّقنيات الحديثة بالنّسبة إلى اللُّغة العربيَّة؟ وكيف نستطيع أن نستبدل بالخليط الهجين للُّغة العربيّة والإنجليزي (العربيزي) والاختصارات الّتي لا قاعدة لها لغةً عربيّة موحّدة يَسْهُلُ استعمالها في الاتّصال بين أبنائنا على الهاتف المحمول والإنترنت؟!، مشيرًا إلى أنَّ الرُّموز والمختصرات هي من أسس لغتنا العربيّة، فهل يمكن أن نبني عليها؟ فهذه القضايا وغيرها تحتاج إلى أن تُطرح أمام الحاسوبيّين من علمائنا والمتخصّصين باللُّغة العربيَّة واللّسانيَّات أملاً في تجاوز التّحدّيات الّتي تواجه لغتنا العربيّة في التّقنيات الحديثة.

- استعرض **الأستاذ مأمون الحطَّاب** الجوانب الثّلاثة الّتي تحدَّثت عنها هذه المحاضرة، ذاكرًا أنَّ جمال هذه المحاضرة يكمن في استيعابها لهذه الجوانب، فالجانب الفنِّيّ يفرض تحدِّيًا على الفنِّيّين، وهو تغيير سعة الرّسالة المكتوبة باللُّغة العربيَّة لتستوعب 160 حرفًا عربيًّا بدلا من استيعابها سبعين حرفًا في الرّسالة القصيرة الواحدة، وذلك لتكون كاللُّغة الإنجليزيَّة الّتي تسمح بكتابة 170 حرفًا ما يدفع أبناءنا للكتابة بها، أمَّا بالنّسبة للجانب اللُّغويّ فالشَّكوى مشتركة في العالم كلِّه من تأثير الهاتف المحمول والإنترنت على اللُّغات والتّطوّر اللُّغويّ، وقد توجّه علماء اللُّغة في الغرب لإيجاد بدائل تحفظ اللُّغة،

ثمّ دعا إلى إنشاء جهاتٍ علميَّة تعمل على مواجهة قضيّة اللُّغة العربيّة في التّقنيات الحديثة، ودراسة ما استُحدث من رموزٍ وألفاظٍ مختصرة ضمن قوانين اللُّغة لإصدار حكم قاطعٍ بوجوب رفضه، وطرح بديل له، مشيرًا إلى القاموس الّذي ظهر في بريطانيا سنة 2007 وهو عبارة عن لغة هجينة استحدثها الهنود والباكستانيُّون الّذين يعيشون في بريطانيا، وهذه الاستحداثات اللُّغويّة درسها المجتمع البريطانيّ وقبِل بعضها واعترف بها.

أمَّا الجانب الثّالث وهو التَّربويّ فقد دعا الأستاذ مأْمون إلى اتّخاذ القصص وسيلةً لتعليم الأبناء، فالقصَّة مهمّة جدًّا خاصَّةً إذا رُبطت بتراثنا الأدبيّ والفكريّ، مشيرًا إلى تجربته الشَّخصيَّة مع ابنه، حيث كانت البداية بإحضار كتاب الأيَّام لطه حسين والقراءة له كلّ يوم صفحتين، ثمّ بدأ يقرأ وحده وأكمل الأجزاء الثّلاثة، وهذا يدلُّ على أنَّ القصّة لها تأثيرُ كبيرٌ على أبنائنا.

- تحدَّث **الدّكتور مأمون جرَّار** عن الغربة اللُّغويَّة الّتي يعاني منها المجتمع العربيّ، ولهذه الغربة أسبابٌ أهمُّها عجز مدرسي اللُّغة العربيّة عن تحبيب اللُّغة العربيَّة لطلبتهم وتنمية اعتزازهم بها، فضلاً عن أنَّنا قلَّما نجد في هذه الأيَّام معلّمًا للُّغة العربيَّة أو التَّربية الإسلاميَّة يؤثّر في طلابه ويُتَّخذ قدوةً لهم في اعتزازه بلغته ودينه ، كما أنَّ هذه الغربة اللَّغويَّة لا تقتصر على لغة المحمول، فهناك جزءٌ من هذه الغربة في جامعاتنا، إذ تشيع على ألسنة طلبتنا كلمات مثل First و Second وغيرها كثيرٌ جدًّا، هناك مشكلةٌ تتعلَّق بالجيل الكبير في الجامعات الّذي لم يتعامل مع الحاسوب فأوجد فجوةً معرفيَّةً منعت التّواصل بين الأجيال.

اختتم الدّكتور مأمون تعقيبه بتأكيد أنَّ البديل هو الحلّ لأيِّ مشكلةٍ نواجهها، فلا بدّ من البحث عن البديل للاختصارات الشَّائعة بين أبنائنا الّتي نجد لها مبررًا في زماننا ذي الإيقاع السّريع.

- استهلّ **الدّكتور عودة أبو عودة** تعقيبه بتأكيده اقتراح الأستاذ الدّكتور عبد الكريم خليفة تشكيل فريق عملٍ يقوم بوضع مختصراتٍ ورموزٍ تقابلُ الرُّموز الَّتي انتشرت بين أبنائنا، وكادت أن تصبح لغةً جديدةً، وإذا استمرّ الأمر كذلك ستنشأ لغة اجتماعيّة جديدة يتمّ تداولها على الهاتف المحمول، ويكون بيننا وبينها فرقٌ كبير وبونٌ شاسع.

ثمّ أبدى ملاحظة لغويَّة على فكرة جرت على لسان المحاضر فحواها أنَّ للُّغة العربيَّة ثمانية وعشرين حرفًا، مشيرًا إلى أنّ هذه الفكرة الخاطئة تنتشر عند كثيرٍ من النّاس ومنهم بعض المختصّين باللُّغة العربيَّة، ويرجع هذا الخطأ الشَّائع إلى خلط النَّاس بين الهمزة والألَف، فآباؤنا كانوا يقولون ألف باء تاء ثاء جيم حاء... فإذا وصلوا إلى نهاية الأبجديَّة قالوا لام ألف ..... واو ياء، فَ (اللام ألف) اعترافٌ ضمنيٌّ منهم أنَّ الألف الّتي قالوها بدايةً ليست ألفًا بل همزة، أي أنَّ الألف الّتي نقصِدها هي الّتي في اللام، وليست الألف الأولى، الّتي هي همزة، وحلُّ هذه المشكلة هي أن نقول إنَّ حروف اللُّغة العربيَّة تسعة وعشرون حرفاً، وهي الهمزة، باء، تاء، ثاء ... ألف، هاء، واو، ياء.

- أشار **الدّكتور عطيَّة** إلى تميُّز العرب بهُويَّة ثقافيَّة تتعرّض – الآن– إلى هجومٍ وحرب من الغرب في ظلّ العولمة الّتي غزت البلاد العربيّة منذ فترةٍ وجيزة، ومن المعروف عندنا جميعًا أنَّ الهاتف المحمول تقنية غربيّة حَمَل معه الكثير من الأشياء الّتي لم تكن في لغتنا وثقافتنا، وهذا يستدعي العمل على المحافظة على خصوصيّتنا العربيَّة وهُويّتنا الثّقافيَّة، والحلول الّتي ذُكِرَتْ في

المحاضرة هي – بلا شكّ– قيّمة، ولكنَّ الواقع يشير إلى أنَّ المشكلة لا تقتصر على الهاتف المحمول، حيث إن المجتمع العربي بدأ يبتعد شيئًا فشيئًا عن اللُّغة العربيَّة، فعندما نستعرض الفضائيّات العربيّة الموجودة الآن نجد أنَّ كثيرًا منها أساءت إلى اللُّغة العربيّة وهي بعيدة كلّ البعد عنها، الأمر الّذي أَثَّر على أجيالنا وسيكون مستقبل هذه الأجيال في خطرٍ إذا استمرّ هذا التّردي اللُّغويّ في إعلامنا وأُسرنا ومدارسنا ...، ثمّ وجّه دعوته إلى رئيس المجمع وأمينه العامّ والأساتذة الكرام والتّربويّين آباء وأمهات ومدرّسين... بأن يقوموا بتسخير وزارة الإعلام بجميع معطياتها وأجهزتها من أجل إعادة ا لإفادة من التّقنيات الحديثة سواءً أكانت الفضائيّات أو الإنترنت أو الهاتف المحمول، مؤمِّلاً أن يتمّ الأخذ بتوصيات هذا المؤتمر ذي العلاقة الوثيقة باللُّغة العربيَّة والتّقنيات الحديثة فاللُّغة العربيَّة شرّفها الله بأن أنزل القرآن الكريم بها وفي هذا حفظٌ لها ، وهي كائن حيّ متطوّر تموت في مصطلحات وتحيا في مصطلحاتٍ أُخرى، وإنَّ من واجبنا أن نفيدَ من كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ – وإن جاءت من الغرب– شريطة أن تتّفق مع ثقافتنا وتُحقّق مستقبلاً مشرقًا لأُمّتنا.

- رأت **الأُستاذة هيام** أنَّ اللُّغة المختصرة الّتي يستخدمها الشّباب هي لغة مختزلة من اختراعهم، و"الحاجة أُمُّ الاختراع"، وهذا نوعٌ من الذّكاء، ولا تأثير لهذه اللُّغة على لغة التَّعامل، لأنّه لا يتجاوز استعمالها الرّسائل القصيرة، فهي لغةٌ محدودة، مشيرةً إلى أنّ تردّي اللُّغة العربيَّة ترديًا خطيرًا في الفضائيَّات وأجهزة التّلفزة وتأثُّرها باللُّغة الإنجليزيّة كان له تأثيرٌ كبيرٌ على الجيل الجديد، فكثيرٌ من الأطفال يتعلّمون اللُّغة من الرُّسوم المتحرّكة، حيث كانت –سابقًا– تستخدم لغةً عربيَّة سليمة، لكنَّ، الآن، تبدَّلت هذه اللُّغة وبدأ التوجُّه لاستعمال لغةٍ عامّيَّة في الرُّسوم المتحرّكة، وهذا يؤثِّر على الجيل الجديد ومخزونه اللُّغويّ، فتأثير الإعلام المرئيّ على هذا الجيل هو أكثر خطورة من اللُّغة المستعملة في

الاختصار الّتي تكون في الرّسائل القصيرة ومجتمعات الدّردشة وذلك للتَّسارع في التَّواصل.

- أشار **الأُستاذ حسن مبيضين** إلى أنّ المنتج الفنّيّ أو التّقنيّ لا علاقة له بما يحدث في مجتمعنا من شيوع (العربيزية) وتداول رموزٍ ومختصرات تسيء إلى لغتنا العربيَّة، فالحاسوب أو الهاتف المحمول هو جهاز تسجيل يستقبل ما يودع فيه، ولذا فإنَّ العبء الأكبر يقع على من يستعمل هذا الجهاز، وهذا يدعونا إلى توعية مجتمعنا بوجوب استثمار الإيجابيَّات الكثيرة للتّقنيات الحديثة وإعادة صياغة فكر أطفالنا وشبابنا وكهولنا ووجدانهم معًا حتَّى نقدِّم لمجتمعنا مَنْ يُحسنُ التّعامل مع المنتج العصريّ لغةً وفكرًا ووجدانًا.

- ذكر **الأُستاذ رمزي الغزوي** أنَّ التّطرُّق لهذا الموضوع المهمّ الّذي يؤرّق لغتنا العربيَّة ويتسرطن بشراسةٍ فيها يتطلَّب مشاركة الفئة المستهدفة، وهي الشّباب، فهم أكثرُ تعاملٍ مع التّقنية الحديثة، وغيابهم عن حضور هذه النّدوة هو غيابٌ لأفكارهم، فلم نسمع منهم ماذا يريدون من اللُّغة؟ وكيف يريدون هذه اللُّغة الجديدة؟! ثمَّ تحدَّث عن "العربيزية" وهي لغةٌ شائعة بين الشَّباب يتمّ فيها دمج اللُّغة العربيَّة بالإنجليزيَّة لتكون سهلة عليهم وسريعة وسلسة، إضافةً إلى إعطائهم اعتبارًا ذاتيًّا وشخصيًّا وتفوقًا على الآخر – أحيانًا– حسب اعتقادهم، مشيرًا إلى أنَّ المستخدمين للإنترنت والهاتف المحمول كثر، ومن الصَّعب الإحاطة بهم، ولذا فإنَّنا بحاجة إلى بدائل سلسة ومواكبة للسُّرعة ومواكبة للاقتصاد أيضًا، وقد رأى أنَّه كان من الواجب إسناد ورقة عملٍ لأحد الشّباب المتخصّصين في التّقنية الحديثة ليقدّم عرضًا تحليليًّا لما يستخدمه الشّباب أنفسهم، وماذا يريدون وذلك للعمل على المزاوجة والمراوحة بين المحافظة على جماليَّات لغتنا ومواكبة من سماع أكبر عددٍ من الشباب، كما أنّ من الضّروريّ

البحث عن البدائل السهلة، فتطويع التّكنولوجيا سهل جدًّا والعلماء موجودون ... لكنَّنا بحاجة إلى دعمٍ ماديّ، واعتراف بالأبحاث المكتوبة باللُّغة العربيّة، وأن تسند مهمّة تطوير اللُّغة والبحث عن بدائل للغة المختصرة ... إلى جهةٍ تكرّس وقتها جُلَّه لتحقيق هذه المهمّة.

العربيّة وهُويّة الأمّة في مؤسّسات التّعليم العامّ والعالي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة

د.لطيفة إبراهيم النّجّار

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

جامعة الإمارات العربيّة المتّحدة

ترتبط اللّغة ارتباطًا قويًّا بهويّة الإنسان، فهي مكوّن أساسيّ من مكوّنات تميّزه عن الآخرين، وتماثله مع من يشاركونه فيها، وهي الوعاء الحافظ لتاريخه وتراثه، وهي الرّابط المتين الّذي يربط الفرد بأمّته وأهله وأرضه، فلا شيء كاللّغة يعبّر عن هُويّة الناس. ولعلّها تكون الملحظ الأوّل الّذي يصنّف النّاس عند من يختلط بهم ويتحدّث معهم.

ومن وجهة نظر معاصرة لعلوم اللّغة فإنّ الهُويّة الدّينيّة والوطنيّة والعرقيّة تتشكّل باللّغة، وتتشكّل اللّغة بها، فأيّ دراسة للّغة تحتاج أن تُدْخِل الهُويّة في عناصرها الأساسيّة إذا كانت تهدف أن تكون دراسة كاملة وغنيّة وذات مغزى؛ لأنّ الهُويّة تقع في صميم ما تعنيه اللّغة، وفي آليّة عملها، وكيفيّة تعلّمها، وكيفية استعمالها، كلّ يوم، من كلّ شخص، في كلّ وقت[1].

---

1. John E Joseph, Language and Identity: National, Ethnic, Religious, Palgrave Macmillan, New York, 2004, p 224.

وانظر: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق، عمان، 2006، 58-66.

Yasir Suleiman, The Arabic Language and National Identity, Georgetown University Press, Washington, D.C, 2003, p 27-33.

وإذا كانت كلّ اللّغات ترتبط بهويّة من يتكلّمها فإنّ اللّغة العربيّة لها خصوصيّة فريدة عند أهلها من العرب، وعند عامّة المسلمين من غير العرب، لأنّها لغة كتاب الله الّذي أنزله على رسوله بلسان عربيّ مبين، ولذلك تكتسب العربيّة قدسيّتها في قلوب الملايين من المسلمين من قدسيّة القرآن الكريم الّذي يمثّل دستور حياتهم ومرجعيّتهم في كلّ شؤونهم الدّنيويّة والأخرويّة.

ولكنّ اللُّغة العربيّة تواجه في هذا الزّمن تحدّيات عظيمة وصعوبات جمّة، فلا يكفي أن تتصدّى لتنافس اللّغات الأجنبيّة الّتي انتشرت وعمّت وسادت، بل إنّها تواجه ما هو أصعب من ذلك، فهي تعاني من زهد أهلها بها، وانصرافهم عنها، وعدم التفاتهم إليها. ولذلك فهي أحوج إلى تكاتف الجهود العلميّة والمادّيّة والبشريّة، لإعادة الاعتبار لها، وللنّهوض بها بين أهلها أوّلا، وفي جموع المسلمين ثانيًا، وفي العالم كلّه ثالثًا.

أمّا هذا البحث فقد جاء بتكليف كريم من مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، وهو يعرض لواقع اللّغة العربيّة في مؤسّسات التّعليم العامّ والعالي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، وقد رأيت أن أمهّد له بمدخل نظريّ يتناول قضيّة اللّغة والتّعليم تناولا عامًّا من منظورَين يختلفان لكنّهما يتكاملان في النّهاية:

١. اللّغة والتّعليم في ظلّ النّظام العالميّ الجديد:

عرضت فيه للواقع الّذي تعيشه اللّغات في العالم في ظلّ الظّروف المعاصرة للنّظام العالميّ الجديد الّذي يقوم على معطيات العولمة والاقتصاد الجديد والثّورة المعلوماتيّة والانفجار المعرفيّ، وكان القصد منه أن أبيّن أنّ مسألة اللّغة والتّعليم متأثّرة بشدّة بإفرازات هذا الوضع الجديد، ولا يمكن النّظر إليها على أنّها مسألة لغويّة تربويّة خالصة.

٢. **اللّغة والتّعليم من منظور علميّ تربويّ:**

وركّزتُ في هذا المحور على وجهة النّظر العلميّة التّربويّة فيما يتّصل بمسألة اختيار لغة التّعليم، وعرضتُ فيه لجانب من الدّراسات التّطبيقيّة في مواقع مختلفة من العالم، والنّتائج الّتي توصّلت إليها.

وبعد المدخل عرضت لواقع اللّغة العربيّة في مؤسّسات التّعليم العامّ والعالي في دولة الإمارات في محوَرين:

١. مؤسّسات التّعليم العامّ في دولة الإمارات.

٢. مؤسّسات التّعليم العالي في دولة الإمارات.

ثمّ ختمت البحث بذكر بعض الملاحظات العامّة على واقع اللّغة العربيّة في دولة الإمارات في مجال التّعليم على وجه الخصوص.

❖ **اللّغة والتّعليم في ظلّ النّظام العالميّ الجديد:**

تعدّ قضية اختيار لغة التّعليم من القضايا المهمّة والأساسيّة في أيّ مشروع يهدف إلى تطوير التّعليم، فاللّغة هي القناة الّتي تنقل عبرها العلوم والمعارف إلى المتعلّمين، وهي الأداة الّتي يعبّر بها المتعلّمون عن فهمهم وتفاعلهم مع ما يتعلّمونه، وهي الوسيلة الّتي يقاس بها مدى النّجاح الّذي يحققونه في استيعاب الموادّ المختلفة وفهم دقائقها وتطبيقاتها المتنوّعة.

وهناك عوامل كثيرة تخضع لها عمليّة اختيار لغة التّعليم، فليس الأمر مقصورًا على الأبعاد التّربويّة والتّعليميّة واللّغويّة، بل تتدخّل في مثل هذه القضيّة عوامل أخرى من خارج اللّغة، وهي ذات تأثير قويّ وسلطة طاغية، بحيث يصبح الأمر كأنّه خاضع لها وحدها في النّهاية، ولا يكون للّغة وما تتمتّع به من مكانة وخصوصيّة أيّ تأثير يذكر في مقابلها. ولعلّ في هذا إشارة واضحة إلى أنّ اللّغة

لا تنفصل عن مقوّمات بقائها، فهي مندمجة اندماجًا شديدًا في بنية المجتمع الّذي هي لسانه، ومتفاعلة بقوّة مع الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي يحياها. فليس هناك شكّ – كما يصرّح جون إدواردز – أنّ أقوى العوامل الّتي تقف وراء ضعف اللّغة هو عدم كفاءة أهلها وضعفهم في مقابل الآخر الّذي يتمتّع بقوّة اقتصاديّة وتقنيّة عالية[٢].

إنّ هذا الارتباط – رغم وضوحه– يتجاهله أحيانًا من ينادون بالحفاظ على اللّغة الأمّ، وضرورة التّمسّك بها؛ فاللّغة ليست مستقلّة عن الواقع، ولا يمكن الفصل بينها وبين عوامل أخرى تؤثّر تأثيرًا عميقًا في تعزيز مكانتها ووجودها أو في إضعافها وتنحيتها. إنّها تتّصل اتّصالا مباشرًا بالتّكيّف العمليّ (البراغماتيّ) للمتطلّبات الجديدة الّتي يفرضها الواقع الاقتصاديّ والسّياسيّ المتغيّر [٣]. وقد بيّنت المؤسّسة الملكيّة للعلاقات الدّوليّة في لندن هذه المسألة؛ فقد ذكرت أنّ النّاس قد يغيّرون لغتهم، ويتعلّمون لغة أخرى إذا دعت الضّرورة إلى ذلك "وعلى الرّغم من أنّ اللّغة الجديدة ستُتَعَلَّم على أنّها لغة مساعدة أو ثانية، فإنّ الأجيال المتلاحقة ستميل إلى استعمالها استعمالا متناميًا في كلّ المجالات"[٤].

لقد أشار كثير من الدّارسين إلى العلاقة الوثيقة بين اللّغة والاقتصاد أو القوّة بمفهومها الأكثر شمولا، ومدى تأثير الثّانية في الأولى تأثيرًا قد يصل أحيانًا إلى درجات قصوى من الإضعاف والتّهميش؛ فقد ذكر دورين أنّ "الولاء للّغة يبقى

---

2 . انظر :

John Edwards, *language, society and identity*, basil Blackwell, Oxford- New York, 1985, P50.

ولا يبعد هذا النظر عن الإشارة الذكية التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته منذ قرون مضت.

3 . السابق ، 92.

4. Royal Institute of International Affairs, *Nationalism,* London: Frank Cass, 1963, P 287.

ما دامت الظّروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة تمثّل عوامل مساعدة لها، ولكن إذا أثبتت لغة أخرى أنّها تملك قيمة أعظم، فإنّ تحولا إلى اللّغة الثّانية سيبدأ" [٥].

فالإخلاص للّغة – كما يرى كثيرون– متجذّر في أرضيّة اقتصاديّة قويّة أكثر ممّا هو مرتبط بأبعاد حضاريّة أو تراثيّة مستقلّة[٦].

إنّ الإشارات السّابقة إلى قوّة العلاقة بين اللّغة والظّروف الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة للمتكلّمين بها تزداد رسوخًا وثباتًا في هذا العصر؛ فمع إفرازات العولمة والنّظام الاقتصاديّ الجديد، والثّورة المعلوماتيّة والانفجار المعرفيّ المتسارع في مختلف حقول العلم أضحت اللّغات مظهرًا سريع التّأثر من مظاهر الحياة في كثير من المجتمعات، غير قادر على الصّمود أو الثّبات في وجه العملقة اللّغويّة للُّغات القويّة، وبخاصّة اللّغة الإنجليزيّة؛ فقد علا الاقتصاد على كلّ المظاهر الأخرى في حياة النّاس، وأصبحت كثير من القيم تقاس بمقياس الرّبح والخسارة، وتحوّل النّظر إلى اللّغة، في كثير من أجزاء العالم من أنّها علامة أساسيّة للهويّة الوطنيّة إلى النّظر إليها على أنّها سلعة تسويقيّة منفصلة عن الهويّة، بل إنّ الهويّة نفسها أصبحت تسوّق، في صورة منتجات تراثيّة كالرّقص والموسيقا والحرف اليدويّة منفصلة تمامًا عن اللّغة[٧].

---

5. Dorain, N. Language loss and maintenance in language contact situations. In : the loss of language skills, edited by R, Lambert & B. Freed. Rowley, Massachusetts: Newbury House, 1982, P74.
6. Williams, G. Language group allegiance and ethnic enteraction. In: Language and ethnic relations, edited by H, Giles & B, Saint-Jacques. New York, 1979, P 58.

وانظر أيضا: John Edwards, *language, society and identity* ,P93 . وهو يبين أنه لا يوجد استثناء على هذه الحقيقة من ارتباط اللغة بالعوامل الاقتصادية إلا في حالات ترتبط بها اللغة بدعامة أساسية في حياة الناس كالدين مثلا. ويذكر أنّ مثل هذه الحالات نادرة جدا ، إن لم تكن حالات تاريخية.

7. Monica Heller, Globalization, The new economy and The coomodification of language and identity, Journal of Sociolinguistics 7/4 ,2003. P474 .

ولعلّ التّعليم هو أكثر المجالات الّتي يظهر فيها تأثّر اللّغة بما يكتنف حياة المجتمع من تقلّبات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة جديدة، ولذلك نرى متّخذي القرار في كثير من الدّول منساقين وراء اعتماد اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم، لا لأسباب تربويّة أو تعليميّة خالصة، فليس الجانب التّربويّ للتّعليم باللّغة الأمّ هو الّذي يحدّد القرار، بل الجوانب السّياسيّة والاقتصاديّة هي الّتي تضغط بقوّة وتمثّل عوامل مؤثّرة حين يكون الحديث عن اللّغة والتّعليم [٨]. فالتّعليم والقوّة مرتبطان ارتباطًا عظيمًا في هذا العصر، فقد تغيّرت أهداف التّعليم عن العصور السّابقة، وأصبح التّعليم مصدرًا من مصادر دعم القوّة السّياسيّة والاقتصاديّة للدّول، إنّه متأثّر بقوّة بالتّوجه العالميّ الجديد نحو النّموّ الاقتصاديّ، وينظر إليه على أنّه وسيلة لتحقيق المصالح الاقتصاديّة والاجتماعيّة [٩]. ولذلك ظهر ما يعرف الآن باقتصاد المعرفة، وهذا يشير إشارة مباشرة إلى شدّة الارتباط بين المعرفة والاقتصاد في تصديقٍ لما سبق أن أشرنا إليه على لسان بعض الباحثين. وهكذا يصبح أيّ طريق إلى القوّة أو السّلطة أو التّنافس مع القوى العظمى له الأولويّة في الاختيار، وإن كان ذلك قد يؤدّي إلى تهميش اللّغة الأمّ أو إخراجها من سياقات مهمّة جدًّا كالتّعليم أو المعاملات الرّسميّة المختلفة. إنّ اللغة الّتي تحقّق القوّة أو الوصول إلى مصادر القوّة يقدّرها صانعو القرار وكثير من أفراد المجتمع تقديرًا عظيمًا، وهذا يؤدّي بدوره إلى خفض قيمة اللّغة الأمّ في التّعليم وغيره من المجالات الحيويّة، لأنّها لم تعد مرتبطة بالقوّة والسّلطة والنّفوذ، وليست ذات قدرة على التّنافس مع

8. Barbara Trudell, Local community perspectives and language of education in sub-Saharan Africa communities, International Journal of Educational Development 27, 2007, p553.
9. Levinson, B.A, Holland, D.C, The cultural production of the educated person: an introduction. In: The cultural production of the educated person: an introduction: Critical Ethnographic of Schooling and Local Practice, State University of New York, Albany, 1996, p 16.

اللّغات ذات الانتشار الواسع في مجالات العلم والمعرفة والاقتصاد والسّياسة والاتّصال[١٠].

تشير بعض الدّراسات في مجال اللّغة والتّعليم إلى أنّ وجهة نظر النّاس المؤثّرين تأثيرًا مباشرًا في التّعليم تعدّ من أقوى العوامل المؤثّرة في اختيار لغة التّعليم؛ فالمعلّمون، وأولياء الأمور، وقادة المجتمع، ومديرو المدارس، والمتعلّمون أنفسهم، كلّ هؤلاء يؤثّرون بقوّة في رسم سياسات التّعليم. وبحسب استجابتهم لتاريخهم وتراثهم، وتفاعلهم مع السّياق الاقتصاديّ والاجتماعيّ الّذي يَحْيَوْنَه يُكَوِّنون رؤيتهم الخاصّة حول طبيعة التّعليم ومخرجاته المتوقّعة، وحول وضع اللّغة الأمّ، والموقع الّذي تستحقّه في السّياق التّعليميّ كاملا[١١].

ولا شكّ أنّ تكوين هذه الرّؤية الخاصّة عند كثير من المؤثّرين في التّعليم والمتأثّرين به تخضع للتّغيّرات العظيمة الّتي يعيشها كوكبنا في هذا الزّمن تحت ضغط العولمة ومتطلّباتها الّتي لا يمكن تجاهلها؛ فقد أشارت كثير من الدّراسات إلى الحاجة الماسّة إلى تغيير دور التّعليم في المجتمعات الّتي تتحرّك نحو عولمة السّوق، بحيث يحقّق شروطًا أساسيّة من أهمّها "إضفاء البعد الدّوليّ على المقرّرات الدّراسيّة المتعلّقة بالسّوق العالميّة المحتملة، مع إتاحة مجال أكبر للمقرّرات الّتي تساعد الدّارسين على تكوين فهم أفضل للعالم كالتّاريخ والسّياسة والاقتصاد، وتدريبهم – في سياق دوليّ– على إقامة العلاقات الإنسانيّة وإدارة الموارد البشريّة، إضافةً إلى تأكيد دراسة اللّغات الأجنبيّة والثّقافات الخاصّة بالمشاركين المحتملين–

---

10 . انظر : Barbara Trudell p 554

11 . السابق، 552.

سواء في التّجارة أو في العمل– مع ضرورة إكساب هؤلاء الطّلاب الكفايات الأساسيّة للتّعامل مع تقنيات العصر"[١٢].

إنّ هذا التّوجّه نحو عولمة السّوق وما ينتج عنه من تداعيات كثيرة يصل مداها إلى محو خصوصيّات المجتمعات والذّوبان فيما يسمّى بالعالم الجديد يتحرّك بسرعة كبيرة في كلّ المجالات، ومنها مجال التّربية والتّعليم، ولذلك ظهرت اتّجاهات عالميّة تميل إلى ما يسمّى بتدويل التّعليم، "تجلّت في تدويل مقرّرات ثقافيّة عامّة، وكذا تدويل بعض المقرّرات التّخصّصيّة كما في العلوم التّجاريّة والإداريّة، أو في مجال الأدب المقارن أو القانون الدّوليّ أو علم الاجتماع أو العلوم الزراعيّة، هذا فضلا عن التّدويل من خلال برامج اللّغات الأجنبيّة"[١٣].

وإذا أردنا أن نحصر النّظر في عالمنا العربيّ فإنّ ما يحدث فيه بشأن تغيير سياسات التّعليم، والسّعي الحثيث نحو الحصول على الاعتماد الأكاديميّ من المؤسّسات التّعليميّة العالميّة في الولايات المتّحدة على وجه الخصوص، والانتقال بالتّعليم إلى نظام الخصخصة، وفتح الأبواب للجامعات الأجنبيّة الخاصّة، وتغيير مناهج التّعليم في المدارس والجامعات، وتأكيد أهمّيّة اللّغة الإنجليزيّة يشير بوضوح إلى أنّ عالمنا العربيّ ليس بمنأى عن تأثير العولمة والنّظام الاقتصاديّ الجديد[١٤].

---

12 . محمد حسنين العجمي، التطور الأكاديمي والإعداد للمهنة الأكاديمية بين تحديات العولمة ومتطلبات التدويل، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، 2007، 45 .

13. السابق، 49. وانظر تقرير اليونسكو عام 1995 تحت عنوان: Policy paper for change and development in higher education, Paris. وانظر أيضا:

Ove Korsgssrd, The Impact of Globalization on Adult Education, p 15-26.In: Globalization, Adult Education & training: Impacts & Issues, edited by Shirley Walters, Zed Books, London, New York, 1997.

14 . انظر في هذا الموضوع:

وعلى الرّغم من أنّ هذا التّحوّل الكبير في سياسات التّعليم في الوطن العربيّ لا يخلو من إيجابيّات، تتمثّل في تطوير طرق التّعليم، وتحديث وسائله، والاستعانة بمصادر التّعلّم المتنوّعة الّتي تتصدّرها المصادر الإلكترونيّة والشّبكة العالميّة، إلا أنّ آثاره السلبيّة لا تخفى على أحد، خاصّة فيما يتّصل بالمحافظة على الهُويّة و اللّغة العربيّة والتّماسك الاجتماعيّ وتقدير الخصوصيّة التّاريخيّة والتّراثيّة للمنطقة والتّمسّك بالقيم والتقاليد الإسلاميّة، فقد بدأت هذه القيم تتراجع تراجعًا واضحًا في السّياقات التّعليميّة المختلفة، رغم بعض الجهود الّتي تحاول أن تحفظ لها مكانتها وتماسكها. لقد نتج عما يسمّى بعولمة التّعليم في المجتمعات العربية، وغيرها من المجتمعات النّامية، "انسحاب حضاريّ" للعناصر الجوهريّة الّتي تشكّل هويّة المتعلّمين وخصوصيّتهم التّاريخيّة والقوميّة والإنسانيّة[١٥]. وأصبح المتعلّمون أنفسهم لا يشعرون بأهمّيّة هذه العناصر ودورها في تشكيل شخصيّاتهم ومستقبلهم. فالعولمة بمعطياتها الخاصّة وتقنياتها القادرة على الوصول إلى كلّ المتعلّمين من شتّى الأجناس والأعمار تُصَدِّر للشّباب تصوّرات مغرية وقويّة التّأثير للحياة الجّيدة والأشياء الجيّدة من منظورها الخاصّ، مكوّنة بنية تصوّريّة جديدة لما يجب أن يطمح إليه الشّباب برغبة قويّة وتوق شديد، يصاحبها أحيانًا شعور بالحرمان والنّقص لعدم امتلاك مقوّمات الحياة الجيّدة الّتي تفرضها العولمة

Abdel Bagi Abdel Ghani Babiker, Higher Education, Globalization and Quality Assurance in the Arab State, p 105-112. In: Globalization and the market in higher education, Unesco Publishing, 2002.

Gilles Breton & Michel Lambert, Universities and Globalization: Private linkages, Public Trust, Unesco Publishing, 2003.

15. استعرت مصطلح " انسحاب حضاري" من الدراسة التي قدمها Prah, K.K عن اللغات الإفريقية، وهي بعنوان: African Languages for the Mass Education of Africans. DSE, Bonn, 1995 إذ يبين أن اعتماد اللغات الأجنبية للتعليم يؤدي إلى أن يصبح النظام التعليمي في أفريقيا سببا في "انسحاب حضاري" في مجتمعات الأقلية، بحيث يغدو التراث المحلي والقيم المحلية واللغة الأم بلا أهمية كبيرة. (ص 65).

على العالم، إنّ العولمة تتّجه بالعالم نحو ما يسمّى بالتّجانس الثّقافيّ الّذي تتلاشى فيه الفروقات والخصوصيّات الثّقافيّة للشّعوب، وتطغى فيه صورة وحيدة للثّقافة تصدّرها الولايات المتّحدة الأمريكيّة لكلّ الشّعوب(١٦).

فإذا أردنا أن نحصر الكلام في اللّغة الأمّ، فإنّها في كثير من أنظمة التّعليم– استجابة لمتطلّبات النّظام العالميّ الجديد وإفرازات العولمة والانفجار المعلوماتي– تتراجع تراجعًا مستمرًّا، وتصبح في كثير من الأحيان اللّغة الثّانية، بغضّ النّظر عن التّصريحات الرّسمية بضرورة المحافظة على اللّغة الأمّ وتقديرها، ولا يقتصر الأمر على الجانب الرّسميّ أو السّياسيّ للمسألة، بل إنّها آخذة في التّراجع عند النّاس عامّة، وفي هذا إشارة واضحة إلى ما سبق أن ذكرناه من ارتباط اللّغة بمقوّمات القوّة في المجتمع، وعلى رأسها الاقتصاد والتّقدّم العلميّ والتّقنيّ.

ويبدو أنّ النّهوض باللّغة الأمّ في كثير من المجتمعات النّامية، كالدّول العربيّة مثلا، عملٌ يتطلّب بذل الجهود العظيمة، واستثمار الكثير من الأموال، وخطّة عمل تستغرق زمنًا طويلا، وإرادة قويّة، ورغبة حقيقيّة صادقة في خدمة اللّغة الأمّ، واقتناعًا بأهمّيتها ودورها الفاعل في النّهوض بالمجتمع والإسهام في تطويره وتمكينه. وهذا أمر تستثقله كثير من الحكومات والمؤسّسات الرّسميّة حين تقارنه بمسألة اختيار اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم، إذ إنّ ذلك يعفيها من متطلّبات مادّيّة كثيرة، قد لا تراها تستحقّ أن تُبْذَل في شأن يبدو لها غير منطقيّ أو غير مضمون النّتائج، وهي الّتي تقيس الشّؤون كلّها الآن بمقياس الرّبح والخسارة المادّيّين. فقد أصبح اختيار لغة التّعليم اليوم خاضعًا لمقاييس بعيدة كلّ البعد عن المحافظة على الهُويّة والتّراث، وتقدير اللّغة الأمّ، والتّمسّك بالقيم الخاصّة

16. Suarez-Orozco, Marcello M (editor), Globalization: Culture and Education in the New Millennium, University of California Press, 2004 , p19.

بالمجتمع، وأخذ ينحو نحو الاستجابة للمتغيّرات العالميّة المتوالدة المتسارعة الّتي ارتبطت باللّغة الإنجليزيّة، وجعلتها المصدر الأوّل من مصادر المعرفة والعلوم والتّقدّم التّقنيّ، والمادّة الأساسيّة الّتي تنتج بها موادّ التّعليم على اختلاف مجالاتها ومستوياتها. وأصبح ينظر إليها على أنّها لغة النّخبة، ولغة القوّة، ولغة النّفوذ، في حين ينظر إلى كثير من اللّغات اليوم على أنّها تفتقر إلى الموضوعيّة والعلمّية والقبول العالميّ[١٧].

❖ **<u>اللّغة والتّعليم من المنظور العلميّ التربويّ:</u>**

تحظى مسألة اختيار لغة التّعليم باهتمام كبير من التّربويّين والباحثين في مجال علم اللّغة الاجتماعيّ والتّخطيط اللّغويّ، خاصّة في المجتمعات الّتي تتعدّد فيها الجنسيّات، كالولايات المتّحدة وبريطانيا وكندا، أو في المجتمعات الّتي تكثر فيها اللّغات المستعملة كإندونيسيا والصّين وماليزيا وكمبوديا وبعض دول أفريقيا، وتبرز مسألة التّفاضل بين اللّغة الأمّ واللّغة الرّسميّة في مثل هذه المجتمعات لتكون مجالا واسعًا للدّراسات والبحوث التّطبيقيّة. ويظهر مصطلح "ثنائيّة اللّغة" في التّعليم ليكون الخيار الأفضل للحفاظ على اللّغة الأمّ للأقلّيّات في المجتمعات المتقدّمة، أو لأبناء الوطن في المجتمعات الّتي لا تكون فيها اللّغة الأمّ هي اللّغة الرّسميّة للتّعليم بسبب تعدّد اللّغات فيها.

---

17. Barbara Trudell, 2007, 554.

على الرّغم من أنّ كثيرا من الدّول الّتي نجحت في أن تحقّق لنفسها مكانة مهمة على المستوى العلمي والصناعي والاقتصادي بقيت متمسكة بلغتها الأم، فهي اللغة الأولى في التعليم، مثل الصين واليابان وسنغافورة وماليزيا والهند. فالأمر ليس مرتبطاً باللغة بقدر ما هو مرتبط برغبة أهلها في بذل الجهد المطلوب لجعلها لغة منافسة قادرة على استيعاب مضامين العلوم مواكبة لمتطلبات العصر الجديد. وهذا ما تفتقر إليه اللغة العربية للأسف.

وعلى الرّغم من أنّ هذه الدّراسات قد طُبّقت على لغات غير اللّغة العربيّة في مجتمعات غير عربيّة، إلا أنّني أرى أنّ الوقوف على نتائجها يمنح القارئ فرصة كبيرة لإدراك الفرق بين التّعليم باللّغة الأمّ والتّعليم باللّغة الثّانية أيًّا كانت. ولنستثمر هذه النّتائج في مناقشة واقع اللّغة العربيّة في التّعليم العامّ والتّعليم العالي في الوطن العربيّ.

تؤكد معظم الدّراسات الّتي قامت على ملاحظة تأثير التّعليم باللّغة الأمّ أو باللّغة الثّانية على أنّ اللّغة الأمّ هي أفضل وسيلة للتّعليم، ونذكر هنا بعض هذه الدّراسات:

- أشار التّقرير السّنوي لليونيسف للعام 1999 إلى أنّ بحثًا موسّعًا حول لغة التّعليم يبيّن أنّ الأطفال يظهرون سرعة في تعلّم القراءة، واكتساب المهارات العلميّة إذا تعلّموا بلغتهم الأمّ، بل إنهّم يظهرون سرعة في تعلّم اللّغة الثّانية أكثر من أولئك الّذين بدؤوا تعلّم القراءة بلغة غير مألوفة لهم[١٨].
- وفي دراسة مقارنة بين التّعليم باللّغة الأمّ في ملاوي، والتّعليم باللّغة الإنجليزيّة في زامبيا، في المراحل التّأسيسيّة، وهما دولتان تتحدّثان اللّغة نفسها، توصّل الباحث إلى أنّ مستوى التّلاميذ في مهارة القراءة باللّغة الإنجليزيّة متقارب في المجموعتين، لكنّ مهارات القراءة باللّغة الأمّ كانت أفضل في المجموعة الملاوية. كما بيّنت الدّراسة أنّ استخدام اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم أدّى إلى نتائج ضعيفة مقارنة باستخدام اللّغة الأمّ. ولذلك يعلّق الباحث على ذلك بقوله: "الحقيقة بالنّسبة لمعظم التّلاميذ أنّ اللّغة الإنجليزيّة بعيدة جدًّا عن أن تكون جسرًا للمعرفة، بل هي في الحقيقة حاجز"[١٩] .

---

18. انظر: Unisef, The State of the World's Children, New York, 1999, p 41-45

19. Williams, E, Investigating Bilingual literacy: Evidence from Malawi and Zambia. Serial No. 24. London, 1998, p62.

- وفي الكاميرون في دراسة مقارنة أيضًا بين التّعليم باللّغة الإنجليزيّة والتّعليم باللّغة الأمّ أظهرت النّتائج أنّ التّعليم باللّغة الأمّ كان أفضل أثرًا على الأطفال من حيث فهم المادّة العلميّة وإدراك موضوعاتها، فقد لوحظ أنّ عمليّة التّعليم تصرف وقتًا كبيرًا في تعلّم مفردات اللّغة الإنجليزيّة وفهم تراكيبها مما يَسِمُ التّعليم بالسّطحيّة وعدم العمق، ولا يُمَكِّنُ الأطفال من التّعمّق في المادّة العلميّة والتّفاعل معها. كما أظهرت الدّراسة أنّ عمليّة التّواصل في الفصول الّتي تعلمّ باللّغة الأمّ كانت أقوى؛ فقد كان الاتّصال في الفصل باتّجاهين: من المعلّم إلى التّلاميذ، ومن التّلاميذ إلى المعلّم. وكان التّلاميذ يتحدّثون بطلاقة عن خبرتهم الشّخصيّة فيما يتّصل بمادّة الدّراسة، في مقابل زملائهم في المجموعة الأخرى الّتي تتعلّم باللّغة الإنجليزيّة وقد ساد الاتّصال فيها من طرف واحد (المعلّم) معظم وقت التّدريس، كما كانت لا تظهر ميلا إلى التّحدّث إلا إذا طلب المعلّم منها ذلك. كما بيّنت الدّراسة أنّ تنمية مهارات التّفكير الإبداعيّ يكون أيسر إذا كان التّعليم باللّغة الأمّ؛ لأنّ مثل هذه المهارات تتطلّب سيطرة جيّدة على اللّغة، وطلاقة كاملة في الحديث، وهذا لا يتسنّى للتّلاميذ الّذين يتعلّمون باللّغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة لفقر المعجم اللّغويّ الّذي يمتلكونه[٢٠].
- وفي الصين أوضح عدد من العلماء استنادًا إلى دراساتهم في هذا الشّأن أنّ السّبب الرّئيس للأداء العلميّ الضّعيف لأطفال الأقلّيّات هو أنّ اللّغة الأمّ للطّفل لا تستخدم في المدرسة[٢١].

20. Barbara Trudell, Language choice, education and community identity, International Journal of Educational Development, 25, 2005, p237-251.
21. Kimmo Kosonen, The Role of Language in Learning: What does International Research Say, In: First Language First, Unesco – Bangkok, 2005, p 87.

- وفي دراسة طويلة شملت 40000 طفل في برامج تعليميّة ثنائيّة اللّغة في الولايات المتّحدة، قام الباحثان بمقارنة نتائج أداء التّلاميذ في اختبارات متعدّدة على مدى طويل، وتوصّلا إلى أنّ الأطفال الّذين بنوا أساسًا قويًّا ومستمرًّا في لغتهم الأمّ، بالإضافة إلى التّعلّم باللّغة الإنجليزيّة حقّقوا نتائج أعلى من أولئك الأطفال الّذين نقلوا بسرعة للتّعلم باللّغة الإنجليزيّة وحدها. بل إنّ الدراسة أوضحت أنّ التمكّن من اللّغة الثّانية (الإنجليزيّة) يعتمد على كمّيّة ما يدرسه التّلميذ باللّغة الأمّ، فكلّما زادت نسبة اللّغة الأمّ في التّدريس زاد تحصيل المتعلّم باللّغة الثّانية[٢٢].

ونسوق هنا بعض أهمّ النّقاط الّتي توصّلت الدّراسات الّتي قامت على مقارنة التّعليم باللّغة الأمّ والتّعليم باللّغة الثانية[٢٣]:

- التّعليم باللّغة الأولى لا يعوق تعلّم اللّغة الثّانية.
- التّعليم باللّغة الأولى يساعد على تعلّم اللّغة الثّانية.
- تعلّم القراءة باللّغة الأولى أسرع وأسهل من تعلّمها باللّغة الثّانية.
- ما يُتعلَّم باللّغة الأولى يُستثمَر في تعلّم اللّغة الثّانية أو التّعلم باللّغة الثّانية.

---

22. Thomas, W.P. and Collier, V. School Effectiveness for Language Minority Students.1997. http://www.ncela.gwu.edu/nchepuhs/resource/effectiveness/

وانظر:

Susan Malone, Education for Multiligualism and Multi- literacy in Ethnic Minority Communities: The Situation in Asia. In , In: First Language First, Unesco – Bangkok, 2005, p 71-86.

23. هذه النقاط مذكورة في بحث:

Kimmo Kosonen, The Role of Language in Learning: What does International Research Say, In: First Language First, Unesco – Bangkok, 2005, p90-91.

- اللّغة الأولى تسمح للتّلاميذ بتعلّم محتوى المنهاج من بداية المراحل الأولى.
- التّعليم باللّغة الأولى يساعد التّلاميذ على أن يكونوا أكثر تفاعلا مع المادّة ومع بيئة التّعلّم.
- التّأسيس القويّ للّغة الأولى يساعد التّلاميذ على النّجاح في أعمالهم الدّراسيّة المفروضة عليهم باللّغة الثّانية.
- اللّغة الأولى تسمح بدور إيجابيّ واضح للوالدين في تعليم أبنائهم.

وتذكر الدّراسات آثارًا سلبيّة لاعتماد اللّغة الثّانية لغة للتّعليم، خاصّة في المراحل التّأسيسيّة الأولى، نذكر منها[٢٤] :

- قدرة المتعلّم على قراءة نصّ باللّغة الثّانية لا يعدّ مؤشّرًا على قدرته على فهم النّصّ، فقد يستغرق الأمر سنوات حتى يظهر المتعلّم قدرة على فهم معنى ما يقرؤه.
- قدرة المتعلّم على فهم المادّة العلميّة ضئيلة جدًّا، ولا تتحسّن إلى أن يصبح متمكّنًا من اللّغة الثّانية تمكّنًا عاليًا.
- التّفاعل بين المتعلّم والمعلّم يكون ضعيفًا، ولذلك يسود نظام الاستظهار من غير فهم في الأنظمة التّعليميّة الّتي تعتمد اللّغة الثّانية لغة للتّعليم.
- هدر نسبة كبيرة من الوقت في شرح مفردات اللّغة الثّانية وتفسيرها للمتعلّمين، وهذا بدوره يضاعف جهود المعلّم ويشكّل ضغطًا كبيرًا عليه، ويصرف الوقت التّعليميّ في غير ما خصّص له.

---

24. السابق، 92.

- صعوبة تحديد أسباب الضّعف عند التّلاميذ، فلا يمكن الجزم أنّ ذلك مردّه إلى طريقة التّعليم، أو طبيعة المادّة، أو مستوى التّلميذ، أو بسبب لغة التّعليم.
- استخدام اللّغة الثّانية لغة للتّعليم، وإعطاؤها مساحة أكبر في المنهاج قد يقلّل من قدرة المتعلّم على الفهم بلغته الأولى، وباللّغة الثّانية أيضًا.

وعلى الرّغم من أنّ معظم الدّراسات الّتي طُبّقت في المجتمعات متعدّدة اللّغات أشارت إلى أنّ التّعليم ثنائي اللّغة يعدّ حلاً جيّدًا، ومخرجًا علميًّا مقبولاً إلا أنّ بعض الباحثين يشير إلى أنّ التّعليم ثنائي اللّغة لا يستمرّ ثنائيًّا مدّة طويلة، "فثنائيّة التّعليم ظاهرة مؤقّتة في الغالب، لأنّه سيؤدّي في النّهاية إلى أحاديّة اللّغة... ولا يمكن أن يكون ظاهرة ثابتة إلا في وجود مجالات مهمّة لاستعمال اللّغتين معًا. ولكنّ الأدلّة الّتي جُمِعَتْ حتّى الآن تُظْهِر أنّ المجالات الّتي خُصّصت للغات الأقلّيّات تُنتهك في الغالب بوساطة اللّغة الأقوى. إنّ القانون هنا عمليّ (ذرائعيّ): النّاس لا يبقون على لغتين إلى الأبد حين تكون إحداهما كافية في جميع السّياقات"[٢٥].

وإذا كانت الدّراسات السّابقة تركّز على الجانب التّربويّ التّعليميّ للغة الأمّ أو اللّغة الثّانية، فإنّ دراسات أخرى في علم اللّغة الاجتماعّي، والإنثروبيولوجيا، وعلم الاجتماع تركّز على العلاقة الوثيقة بين اللّغة والهويّة، وأثر تعلّم اللّغة الثّانية أو باللّغة الثّانية على إعادة تشكيل الكثير من الأفكار والقيم في ذهن المتعلّمين من خلال اللّغة المكتسبة، إنّ هذه الدراسات "تنظر إلى تعليم اللّغة على أنّه تكييف اجتماعيّ أكثر من كونه اكتسابًا" [٢٦]. إنهّا ترى أنّ تعلّم اللّغة لا ينفصل عن تعلّم

25. John Edwards, *language, society and identity*, basil Blackwell, Oxford- New York, 1985, p71-72.
26. Elaine Mellen Day, Identity and the Young English learner. In: Bilingual Education and Bilingualism, 36, 2002, p21.

تراث اللّغة، وما تتضمّنه من أفكار وقيم وما ترتبط به من تصوّرات وسلوكيّات، فالمتعلّمون يكتسبون اللّغة ويتشرّبون معها مضامين اجتماعيّة كثيرة مثل القيم والميول والعواطف وغيرها. لذلك فإنّ برامج التّعليم ثنائيّة اللّغة قد تصلح في المجتمعات متعدّدة الجنسيّات أو كثيرة الأقلّيّات للحاجة الماسّة المُلِحَّة لها. أمّا في مجتمعات مثل المجتمع العربيّ فإنّ هذه البرامج قد تجور على اللّغة العربيّة الأمّ، خاصّة إذا كانت تدعم اللّغة الإنجليزيّة وترى أنّها تَفْضُلُ اللّغة العربيّة في كثير من المجالات، كما هو واقع الحال بالنّظر إلى هيمنتها على مصادر المعرفة الورقيّة والإلكترونيّة، وانتشارها الواسع على شبكة المعلومات العالمية، وتوافر الموادّ التّعليميّة عالية الجودة بها.

واقع اللّغة العربيّة في مؤسّسات التّعليم العامّ والتّعليم العالي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة:

تختلف دولة الإمارات عن باقي الدّول العربيّة في منطقة الخليج العربيّ من حيث عدد السّكان فيها؛ إذ تعاني الدّولة من خلل واضح في التّركيبة السّكانيّة، ووجود أعداد كبيرة من المقيمين فيها من مختلف الجنسيّات، فقد بلغ عدد الجنسيّات المقيمة في الدّولة 202 جنسيّة من مختلف دول العالم، وفقًا للتّقرير الّذي نشرته وزارة العمل. وقد أظهرت النّتائج الأوّليّة للتّعداد العامّ للسّكان في سنة 2005 أنّ عدد سكان الإمارات بلغ 4 ملايين و 104 آلاف و 595 نسمة، منهم 3 ملايين و 279 ألفا و774 وافدًا، بنسبة 79,9 % و921 مواطنًا بنسبة 20,1%[٢٧].

27. انظر تقرير وزارة الاقتصاد المنشور على موقع الوزارة الإلكتروني: http://www.economy.ae/ مع ملاحظة أنّ هناك أكثرية عددية لعدد محدود من الجنسيات في الدولة فاستنادا إلى بيانات أذونات الدخول الصادرة عن وزارة الداخلية لعام 1998 يتبين أن نسبة 71,6% كان لصالح الدول الآسيوية، و 19,2 % لصالح الدول العربية. والباقي لبقية الدول. انظر : مطر أحمد عبد الله، واقع التركيبة السكانية ومستقبلها في دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000، ص 13.

فإذا كان معظم الوافدين من الجنسيّات غير العربيّة فإنّ واقع اللّغة العربيّة في الدّولة مهّدد تهديدًا واضحًا، وهذا ما نلاحظه من استعمال لغة عربيّة هجين في التّحاور اليوميّ بين العربيّ وغير العربيّ من الجنسيّة الآسيويّة في الغالب، ومن استعمال اللّغة الإنجليزيّة بين العربيّ والأجنبيّ ممّن تكون الإنجليزيّة لغته الأمّ، أو ممّن يجيد استعمالها.

وقد أدّى هذا التّعدّد الكبير في الجنسيّات إلى ميل واضح إلى اعتماد اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعامل الرّسميّ في كثير من مؤسّسات الدّولة، استجابة للضّغط الّذي يمارسه الوجود الأجنبيّ في البلاد، وتحقيقًا لسهولة التّعامل وتخليص الإجراءات. أمّا في مجال التّعليم فإنّ اللّغة الإنجليزيّة لها الحظّ الأوفر سواء أكان ذلك في التّعليم العامّ أم في التّعليم العالي. وهذا ما سنحاول بيانه في النّقاط الآتية:

<u>أوّلا– مؤسّسات التّعليم العامّ في دولة الإمارات:</u>

أ. نظرة عامّة: تقسّم المدارس في دولة الإمارات إلى قسمين رئيسين:

١. المدارس الحكوميّة.

٢. المدارس الخاصّة: وهذه تقسّم بحسب المنهج المعتمد للتّدريس فيها إلى فئات:

١. منهاج وزارة التّربية والتّعليم: مدارس تعتمد منهاج الوزارة.

٢. المنهاج الأمريكيّ / البريطانيّ (أ/ب): مدارس تعتمد المنهج الأمريكيّ أو البريطانيّ. وتدرّس مادّتي اللّغة العربيّة والتّربية الإسلاميّة المعتمدين من الوزارة.

٣. المنهاج الهنديّ/ الباكستانيّ (هـ/ب): مدارس تعتمد المنهج الهنديّ أو الباكستانيّ. وهذه تدرّس منهج اللّغة العربيّة لغير النّاطقين كما قرّرته وزارة التّربية.

٤. المنهاج الخاصّ: مدارس تعتمد مناهج خاصّة بالجاليات الأخرى: المصريّ، الإيرانيّ، الفرنسيّ، الألمانيّ، الفلبينيّ ... وهذه تدرّس منهج اللّغة العربيّة لغير النّاطقين كما قرّرته وزارة التّربية، وقد تعتمد منهجًا أمريكيًّا أو بريطانيًّا مثل مدرسة الشويفات الحديثة، وهي من أكثر المدارس شهرة، وفيها عدد من أبناء دولة الإمارات العربيّة المتّحدة والمقيمين فيها من العرب.

٥. المنهاج المختلط: مدارس تعتمد منهج الوزارة بالإضافة إلى منهج آخر: بريطانيّ أو أمريكيّ في الغالب.

ويمكن توضيح توزيع المدارس في الدّولة على الإمارات في الجدول الآتي[28] :

الإمارة	المنطقة التعليمية	المدارس الحكومية	المدارس الخاصة					
			وزارة	أ / ب	هـ/ب	خاص	مختلط	المجموع
أبو ظبي	أبو ظبي	135	38	27	21	16	13	115
	العين	130	21	9	7	4	10	48
	الغربية	50	4	-	3	1	3	11
دبي	دبي	86	18	67	27	19	3	134
الشارقة	الشارقة	77	34	27	20	7	3	91

28. الإحصاءات التعليمية لعام 2006-2007 ، قسم التّوثيق والإحصاء، وزارة التربية والتعليم. (قرص مدمج) .

	مكتب الشارقة	46	5	1	1	–	–	7
عجمان	عجمان	42	2	1	7	–	1	11
أم القيوين	أم القيوين	25	1	–	3	1	–	5
الفجيرة	الفجيرة	58	5	1	3	2	–	11
رأس الخيمة	رأس الخيمة	94	14	2	8	3	–	27
المجموع		743	142	135	100	53	33	1206

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المدارس الخاصّة الّتي تعتمد المنهاج الأمريكيّ أو البريطانيّ يلتحق بها عدد كبير من أبناء دولة الإمارات، وأبناء الجالية العربيّة[٢٩].

ب. اللّغة العربيّة في الخطّة الدّراسيّة بمدارس التّعليم العامّ:

١. في التّعليم الحكوميّ:

يتّضح لمن يتابع القرارات الوزاريّة بشأن الخطّة الدّراسيّة لمادّة اللّغة العربيّة في مدارس التّعليم العامّ بالدّولة أنّ نسبة مادّة اللّغة العربيّة تتّجه في الغالب نحو النّقصان. ففي المدارس الحكوميّة كان توزيع حصص اللّغة العربيّة على الصّفوف المختلفة كالآتي[30]:

---

29. بلغ مجموع عدد الطلبة المواطنين في هذه المدارس 16 ألفا ، وبلغ مجموع الطلبة العرب 14 ألفا. وفقا للتقرير الإحصائي الذي أصدرته الوزارة لعام 2006–2007. ويلاحظ أنّ هؤلاء الطلبة يدرسون اللغة العربية وفق عدد مختلف من الحصص الذي تعتمده وزارة التربية والتعليم في المدارس الحكومية، وسيتّضح ذلك عند الحديث عن اللغة العربية في التعليم الخاص.

30 . القرار الوزاري رقم 2/921 لسنة 1999م بتاريخ 1999/4/10

المرحلة	المرحلة الابتدائيّة						الإعداديّة			الثانوية				
المواد	أول	ثان	ثالث	رابع	خامس	سادس	أول	ثان	ثالث	أول	ثان أدبي	ثان علمي	ثالث أدبي	ثالث علمي
التربية الإسلامية	5	5	5	4	4	4	4	4	4	3	3	3	3	3
اللغة العربيّة	10	10	10	8	8	8	7	7	7	7	9	7	8	6
اللغة الإنجليزية	4	4	4	6	6	6	6	6	6	6	6	6	6	6

ثمّ خفضت الخطّة الدّراسيّة للمادّة لكلّ من الصّفّين الأوّل والثّاني الثّانويّين بمقدار حصّة واحدة لصالح مادة تقنية المعلومات[31] .

ثمّ خفضت في جميع الصّفوف اعتبارًا من العامّ الدّراسيّ 2005/2004 على النّحو الآتي[32]:

الموادّ	أوّل	ثان	ثالث	رابع	خامس	سادس	أول	ثان	ثالث	أول	ثان أدبي	ثان علمي	ثالث أدبي	ثالث علمي
التربية الإسلامية	4	4	4	4	4	4	4	4	4	3	3	3	3	3
اللّغة العربيّة	8	8	8	8	8	8	7	7	7	6	6	6	8	6
اللّغة الإنجليزيّة	4	4	4	6	6	6	6	6	6	6	6	6	6	6

وسنرى لاحقا في مشروع مدارس الغد كيف رجحت كفّة اللّغة الإنجليزيّة على العربيّة خاصّة في المرحلة الثّانويّة.

---

31 . القرار الوزاري رقم 2938/ 2 لسنة 2000 بتاريخ 2000/9/5 .

32 . القرار الوزاري رقم 11472 لسنة 2003 بتاريخ 2003/ 12/31.

٢. **في التّعليم الخاصّ:**

تلتزم المدارس الخاصّة الّتي تعتمد منهج وزارة التّربية والتّعليم بعدد الحصص نفسه الموضّح في النّقطة السابقة.

أمّا المدارس الخاصّة الّتي تعتمد منهجًا آخر (الأمريكيّ أو البريطانيّ على وجه الخصوص) فإنّ توزيع الحصص فيها يختلف، فهي ستّ حصص حتّى الصّفّ الثّالث، وخمس حصص من الرّابع إلى الخامس، وأربع حصص لبقيّة الصّفوف، وفي المدارس الّتي تعتمد المنهاج الخاصّ، كمدرسة الشويفات مثلا، فإنّ اللّغة العربيّة تدرّس ضمن منهاج خاصّ لغير النّاطقين [٣٣]، ويعامل الطّلاب العرب فيها كغير العرب[٣٤].

ج. **مدارس الشّراكة في أبوظبي:**

تعدّ مدارس الشّراكة من أهمّ البرامج المطبّقة الّتي اعتمدها مجلس أبوظبي للتّعليم، وهو برنامج يطبّق فقط في منطقة أبوظبي التّعليميّة من دون سائر الإمارات، ويعتمد في الأساس على الاستفادة من خبرة القطاع الخاصّ في تطوير التّعليم العامّ وتحقيق أهداف تعليميّة تحقّق الجودة العالية في قطاع التّعليم في إمارة أبو ظبي.

وتقوم فكرة البرنامج على الشّراكة بين المدارس الحكوميّة وعدد من الشّركات العالميّة الخاصّة لتتكفّل الثّانية بتشخيص الواقع التّعليميّ في الإمارة، ووضع

---

33. انظر القرار الوزاري رقم 1/11 لعام 2004، والقرار الوزاري 1/12 لعام 2005 . الّذي يحدد المواد المقررة من مادة اللغة العربية على الطلاب الأجانب، وهي مقررات مختارة من سلسلة أحب العربية، وموضوعات أخرى مختارة من منهاج اللغة العربية المعتمد من الوزارة.

34. يذكر أنّ بعض المدارس الخاصة لم تلتزم بتدريس مادة التربية الإسلامية واللغة العربية، وهي بذلك تخالف القرار الوزاري رقم 4532 لعام 2005 الذي يلزم المدارس بتدريس هاتين المادتين ضمن برنامج دراسي يتوافق مع طبيعة الدراسة فيها. انظر: جريدة البيان بتاريخ 2007/6/5 تحت عنوان "العربية والإسلامية غائبة عن 15 مدرسة في دبي" .

المشاريع لتطويره وتحسين بيئة التعلّم ومخرجاته. وقد تعاقد المجلس مع أربع شركات عالمية هي: SABIS, NORD-ANGLIA, CRT, MOSAICA لتنفيذ خطّة التطوير هذه في 30 مدرسة في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الأساسيّة، كخطوة أولى في البرنامج. ولتحقيق ذلك فإنّ عناصر (خبراء) من هذه الشّركات تعمل مع المعلّمين ومديرو المدارس مباشرة لمتابعة سير العمل، وخطوات تطبيق البرنامج. ومن أهمّ ما يتمسّك به البرنامج التّركيز على اللّغة الإنجليزيّة، وجعلها لغة التّعليم في الموادّ العلميّة من الصّفّ الأوّل الابتدائيّ[٣٥].

د. **مدارس الغدّ:**

هـ. يأتي مشروع مدارس الغدّ ضمن الاستراتيجيّة الجديدة لوزارة التّربية والتّعليم الّتي ستطبّق ابتداءً من العام الدّراسيّ 2008/2007. وهو مشروع سيطبّق على كلّ مدارس الدّولة ضمن خطّة زمنيّة تستمرّ سنتين.

وقد أعلنت وزارة التّربية والتّعليم عن الهدف الأساسيّ لمشروع مدارس الغدّ الّذي يتمثّل في "وقف برامج التّقوية الّتي تطرحها الجامعات والكلّيّات، واستيعاب هذه البرامج في مدارس الدّولة بنهاية العامّ الدّراسي ّ 2011/2010"[36]. وقد وضعت الوزارة للمشروع موجّهات وأهدافا وآليّات تنفيذ ضمن خطّة زمنيّة محدّدة. ومن

---

35 . انظر موقع مجلس أبو ظبي التعليم Http://www.adec.ac.ae مع الإشارة إلى الموقع كله باللغة الإنجليزية.

36. انظر : موقع وزارة التربية والتعليم في الإمارات http://www.moe.gov.ae/newmoe/news/2007/May/31.htm . والمقصود ببرامج التقوية التي تطرحها الجامعات في الدولة : مجموعة من المساقات تعالج ضعف الطلبة في مهارات اللغة الإنجليزية والرياضيات والحاسوب، بالإضافة إلى اللغة العربية في جامعة الإمارات. وفي هذا إشارة واضحة إلى ضعف مخرجات التعليم العام. ولذلك جاءت فكرة مدارس الغد للقضاء على هذا الضعف وتأهيل الطالب للدراسة الجامعية من دون حاجة إلى برامج تقوية تحسب من برنامج دراسته الأساسي.

المهمّ أن نشير هنا إلى بعض النّقاط الّتي لها علاقة وثيقة بوضع اللّغة العربيّة في هذه المدارس:

- التوّجه إلى أن يكون الطّالب في هذه المدارس ثنائي اللّغة، "يجمع إلى جانب معرفته باللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة وتاريخ وطنه، معرفة جيّدة باللّغات الأجنبيّة، وإحاطة واعية بواقع الدّولة في العالم، ودورها المتنامي في إنجازاته.."[37].
- إدخال موادّ تعليميّة جديدة بدءًا من العامّ الدّراسيّ 2008/2007، هي اللّغة الإنجليزيّة والرّياضيات والعلوم الّتي ستدرّس باللّغة الإنجليزيّة منذ الصّفّ الأوّل الأساسيّ، يتبع ذلك تدرج في تطبيق عمليّة التّعلّم باللّغة الإنجليزيّة للصّفوف من السّادس حتّى الثّاني عشر[38].
- اعتماد مناهج متعدّدة في هذه المدارس تشمل المنهاج الأمريكيّ والبريطانيّ والاستراليّ، وهناك عرض مقدّم من إحدى مؤسّسات التّعليم الخاصّة لتضمين المنهاج السنغافوري أيضًا لم يتمّ اعتماده حتّى الآن[39].
- توظيف خبراء أجانب للمساعدة في إدارة كلّ مدرسة، بحيث يعيّن لكّل مدرسة أربعة خبراء، يعمل أحدهم مستشارًا للمدير، وآخر منسّقًا للمناهج

---

37 . الموقع السابق.

38. انظر جريدة البيان بتاريخ 2007/5/23 تحت عنوان "حنيف حسن: هدفنا تحسين البيئة التعليمية ودعم الإدارة المدرسية. الاستعداد لمدارس الغد بمناهج تقضي على برامج التقوية وتنعش الإنجليزية". والمقصود بالمواد الجديدة: مناهج جديدة للمواد العلمية المذكورة. http://www.albayan.ae.

39 . انظر جريدة الاتحاد بتاريخ 2007/7/26 تحت عنوان "التربية تعتمد مناهج متعددة في مدارس الغد".

والموادّ التّعليميّة، ويعمل اثنان منهم مرشدين أكاديميّين لتدريب وتقييم المعلّمين داخل المدرسة[40].

- إضافة أربع حصص للّغة الإنجليزيّة في الثّانوية ليصبح مجموع الحصص عشر حصص في مقابل ستّ حصص للّغة العربيّة[41].
- تغيير منهج اللّغة العربيّة الذي اعتمدته سابقًا الوزارة في الوثيقة الوطنيّة لمنهج اللّغة العربيّة للتّعليم العامّ في دولة الإمارات إلى منهج آخر جديد[٤٢].

هـ- وثيقة منهج اللّغة العربيّة:

تعدّ الوثيقة الوطنيّة لمنهج اللّغة العربيّة الّتي أعدّتها لجنة علميّة مكلّفة من وزارة التّربية والتّعليم من أبرز الجهود الّتي بُذِلت للنّهوض باللّغة العربيّة في التّعليم العامّ في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، وقد انطلقت الوثيقة من رؤية 2020 الّتي اعتمدتها الوزارة في فترة سابقة، وقد كانت تسعى لوضع وثيقة للّغة العربيّة تحقّق لها التّنافس مع اللّغات العالميّة في مجال تعليم اللّغات. وقد كان من أهمّ المنطلقات الّتي بنيت عليها[٤٣]:

---

40. انظر جريدة البيان بتاريخ 2007/6/28 تحت عنوان "200 خبير لمدارس الغد وساعة إضافية لدوام الثانوية" http://www.albayan.ae.

41 . انظر: جريدة الخليج بتاريخ 2007/8/17 تحت عنوان "إضافة أربع حصص للغة الإنجليزية في الثانوية" http://www.alkhaleej.ae.

42. لم يتم الإعلان رسميًّا عن هذا الأمر لكنه حاصل وهو قيد التنفيذ الآن.

43. انظر: الوثيقة الوطنية لمنهج اللغة العربية للتعليم العام في دولة الإمارات العربية المتحدة، يونيو 2002. ص 12-14 .

١. التّركيز على مهارات الاتّصال الشّفويّ والكتابيّ، وتوزيع المفاهيم اللّغوية والمعارف الأدبيّة بما يتواءم مع مستوى الطّالب ويلبّي حاجاته الواقعيّة.

٢. التّركيز على القراءة بأشكالها: المنهجيّة والذّاتيّة والحرّة، ولا سيّما قراءة نصوص من الأدب القصصيّ توزّع بما يتناسب مع مستوى المرحلة.

٣. تخصيص محور للبحث والتّقنية بحيث يدرّب المتعلّم على كتابة التّقارير والمقالات والأبحاث المختلفة.

٤. إيلاء المكتبة المدرسيّة ومكتبة الفصل دورًا أساسيًّا في العمليّة التّعليميّة من خلال إعداد قائمة بالقراءات الذّاتيّة توظّف في تدريبات الكتابة والمحادثة.

٥. التّركيز على التّعلّم الذّاتيّ الفاعل، وتعزيز الجهود المبذولة لتغيير مفهوم التّعليم في المنهج التقليديّ الّتي تمنح المدرّس الدّور الرئيس أو الوحيد.

وقد اطّلعت اللّجنة المكلّفة بإعداد الوثيقة على وثائق مختلفة لتعليم اللّغات في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا وبريطانيا واستراليا، وبعض الدّول العربيّة، وعملت على أن تكون وثيقة اللّغة العربيّة محقّقة لشروط التّنافس مع اللّغات العالميّة في مجال تعليمها وتعلّمها.

وقد قامت لجان التّأليف بالانتهاء من تأليف كتب الصّفّ الأوّل والثّاني والثّالث الابتدائي، والعاشر والحادي عشر والثّاني عشر وفق خريطة المدى والتّتابع المنصوص عليها في الوثيقة، بالإضافة إلى إصدار أقراص مدمجة تتضمّن نصوصًا مختلفة لحصص الاستماع، وأناشيد للأطفال[٤٤].

44. تعمل الوزارة الآن على تغيير هذه الكتب من دون إجراء أي اختبارات تقيس مدى نجاحها في تحقيق الأهداف التعليمية الأساسية في مهارات القراءة والكتابة.

ثانيا – مؤسّسات التّعليم العالي في الإمارات:

أ. **<u>المؤسّسات الحكوميّة:</u>**

هناك ثلاث مؤسّسات حكوميّة للتّعليم العالي في دولة الإمارات:

١. جامعة الإمارات العربية المتّحدة:

وهي الجامعة الأمّ، تأسّست في عام 1976، وتمنح درجة البكالوريوس في 70 تخصصًا، ودرجة الدّبلوم المهنيّ، وأربع درجات في الماجستير. وقد مرّت الجامعة بمراحل كثيرة عملت فيها على تطوير خططها وبرامجها التّعليميّة للتّمكّن من الحصول على الاعتماد الأكاديميّ من المؤسّسات التّعليميّة الكبرى في العالم. وللاستجابة لمتطلّبات سوق العمل في الدّولة.

وكان من أهمّ التّغييرات الّتي طالت خطط الجامعة والتي أثّرت تأثيرًا مباشرًا على اللّغة العربيّة أن انتقلت معظم البرامج في الجامعة من التّدريس باللّغة العربيّة إلى التّدريس باللّغة الإنجليزيّة. وقد كان هذا الأمر محصورًا في البدء في الكلّيّات العلميّة خاصّة، لكنّه بدءًا من عام 2003، وانطلاقًا ممّا سمّي بالرّؤية الجديدة للجامعة، طبّق في جميع الكليّات باستثناء كليّة الشريعة وقسم اللّغة العربيّة في كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. ومع ذلك فإنّ طلبة كلّيّة الشّريعة وقسم اللّغة العربيّة يدرسون مساقات باللّغة الإنجليزيّة. ويمكن توضيح هذا التّوجّه نحو اعتماد اللّغة الإنجليزيّة في التّدريس بالجامعة من خلال خطط ثلاثة برامج في كلّيّة العلوم

الإنسانيّة والاجتماعيّة، هي برنامج التّاريخ، وبرنامج الاتّصال الجماهيريّ، وبرنامج اللّغة العربيّة وآدابها[45] :

- برنامج التّاريخ: يدرس الطّالب 132 ساعة معتمدة موزّعة على النّحو الآتي:
  - 24 ساعة : متطلّبات الجامعة العامّة (منها 4 للّغة العربيّة، و14 للإنجليزّية).
  - 12 ساعة: متطلّبات التّعليم العامّة (باللّغة العربيّة) .
  - 27 ساعة: متطلّبات الكلّيّة (باللّغة الإنجليزيّة) .
  - 42 ساعة متطلّبات التّخصّص (منها 21 بالعربيّة، و 15 بالإنجليزيّة [46]، و 6 باللّغتين معًا) .
  - 18 ساعة للتّطبيقات المحوريّة (قد تكون بالعربيّة أو بالإنجليزيّة) .
  - 6 ساعات مساقات حرّة.
- برنامج الاتّصال الجماهيريّ: يدرس الطّالب 132 ساعة معتمدة موزّعة على النّحو الآتي:
  - 24 ساعة: متطلّبات الجامعة العامّة (منها 4 للغة العربيّة، و14 للإنجليزيّة).
  - 12 ساعة: متطلّبات التّعليم العامّة (باللّغة العربيّة).
  - 27 ساعة: متطلّبات الكلّيّة (باللّغة الإنجليزيّة).
  - 42 ساعة متطلّبات التّخصّص، منها:
    - 15 ساعة إجباريّة لكلّ المسارات (6 بالعربيّة، 6 بالإنجليزيّة، 3 باللّغتين معًا).

---

45 . جميع المعلومات التي سترد مأخوذة من الخطط الدراسية الموجودة في وحدة الإرشاد بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، والمعتمدة من قبل الجامعة.

46. منها على سبيل المثال: تاريخ العالم حتى 1500م ، وتاريخ العالم الحديث، وتاريخ أوروبا وحضارتها في العصور الوسطى، وتاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، وتاريخ أفريقيا.

- مسار الصّحافة: 18 ساعة (واحد بالعربيّة، 4 بالإنجليزيّة[47]، وواحد باللّغتين معا).
- مسار العلاقات العامّة، أو مسار الإذاعة أو مسار التّلفزيون: 15 ساعة (واحد بالعربيّة، 4 بالإنجليزيّة[48]، وواحد باللّغتين معا).
  - 3 ساعات اختياريّة لمسار العلاقات العامّة أو الإذاعة أو التّلفزيون باللّغة الإنجليزيّة.
  - 6 ساعات تطبيقات عمليّة (باللّغة الإنجليزيّة).
  - 3 ساعات للمساق التّكاملي (باللّغة الإنجليزيّة).
  - 18 ساعة للتّطبيقات المحوريّة (بالعربيّة أو الإنجليزيّة).
  - 9 ساعات حرّة (بالعربيّة أو الإنجليزيّة).

– قسم اللّغة العربيّة وآدابها: يدرس الطّالب 132 ساعة معتمدة موزّعة على النّحو الآتي:

- 24 ساعة: متطلّبات الجامعة العامّة (منها 4 للغة العربيّة، و14 للإنجليزيّة).
- 12 ساعة: متطلّبات التّعليم العامّة (باللّغة العربيّة).
- 27 ساعة: متطلّبات الكلّيّة (باللّغة الإنجليزيّة).
- 42 ساعة: متطلّبات التّخصّص (باللغة العربية) [49].

---

47. منها على سبيل المثال: الكتابة الإخبارية، التغطية الصحفية باستخدام الحاسب.

48 . منها على سبيل المثال: تصميم الرسائل الإعلامية، الإنتاج الإذاعي، الإنتاج التلفزيوني، إدارة المؤسسات الإذاعية.

49 . بالنظر في خطط قسم اللغة العربية في جامعة الإمارات فإن عدد ساعات التخصص انخفض انخفاضا ملحوظا، فقد كان 81 ساعة في خطة 1986، ثم 66 ساعة في خطة 1990، و1994، و2000 ، ثم 42 في خطة 2003 المعتمدة حتى الآن.

- 18 ساعة: للتّطبيقات المحوريّة (قد تكون بالعربيّة أو بالإنجليزيّة).
- 6 ساعات: مساقات حرّة.

والجامعة منذ بدء اعتمادها اللّغة الإنجليزيّة للتّدريس تتّجه نحو زيادة عدد أعضاء هيئة التّدريس من غير العرب، وكذلك أعضاء الهيئة الإداريّة والفنّيّة[٥٠].

٢. كلّيّات التّقنية العليا:

وهي أكبر مؤسّسة للتّعليم العالي التّخصّصي بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة. وقد تأسّست في عام 1988 في أبوظبي والعين، ثمّ امتدّت فروعها لتشمل دبي والشارقة ورأس الخيمة والفجيرة. وتعتمد الكلّيّة على اتّفاقيّات مبرمة بينها وبين مركز التّفوّق للبحوث التّطبيقيّة والتّدريب، وهو الذّراع التّدريبيّ للكلّيّات، وشركات تجاريّة عالميّة ومؤسّسات تدريب لتدريب طلبتها وتأهيلهم لسوق العمل.

وتطرح مجموعة من البرامج التخصّصيّة في حقول الأعمال التّجاريّة، وتكنولوجيا الاتّصال الإعلاميّ، والتّربية، وتكنولوجيا الهندسة، والعلوم الصّحّيّة، وتكنولوجيا المعلومات . وتمنح الكلية درجة الدّبلوم أو الدّبلوم العالي أو البكالوريوس.

واللّغة الإنجليزيّة هي لغة التّدريس المعتمدة في الكلّيّات منذ إنشائها. ومعظم الهيئة التّدريسيّة والإداريّة فيها من غير العرب.

---

50. معظم عمداء الكليات ورؤساء الأقسام من غير العرب، كما إن مدير إدارة القبول والتسجيل ومدير إدارة الموارد البشرية أجنبيان.

٣. جامعة زايد:

تأسّست في عام 1988، ولها فرعان في أبوظبي ودبي، وهي جامعة للإناث فقط، وفيها خمس كليات: العلوم والآداب، علوم الإدارة، علوم الاتّصال والإعلام، التّربية، نظم المعلومات. واللّغة الإنجليزيّة هي لغة التّدريس المعتمدة في الجامعة منذ إنشائها. ومعظم الهيئة التّدريسيّة فيها من غير العرب.

ب. مؤسّسات التّعليم العالي الخاصّة:

بلغ عدد مؤسّسات التّعليم العالي الخاصّ المعترف بها في مجال التّعليم العالي حتى ديسمبر 2006 اثنتين وأربعين مؤسّسة، تمنح درجات علميّة مختلفة، مثل الدّبلوم، والدّبلوم العالي، والبكالوريوس، والبكالوريوس بمرتبة الشّرف، والماجستير، وغيرها. وهذا جدول يوضح توزيع هذه المؤسّسات على إمارات الدّولة:

م	الإمارة	عدد المؤسسات
1	أبو ظبي	11
2	دبي	20
3	الشارقة	6
4	عجمان	2
5	رأس الخيمة	2
6	الفجيرة	1

ويدرس في هذه المؤسّسات عدد من طلبة الإمارات ومن المقيمين فيها، ويوضّح الجدول الآتي عدد الطّلبة المقيّدين والخريّجين في هذه المؤسّسات[51]:

عام 2006	الإمارات	دول مجلس التعاون الخليجي	عرب آخرون	آخرون	غير محدد	المجموع
المقيدون	16546	7980	12226	6700	19	43471
الخريجون	2818	2684	1895	1106	35	8538

ويعمل في هذه المؤسّسات عدد من أعضاء الهيئة التّدريسيّة والهيئة الإداريّة والفنّيّة، بلغ عددهم حتّى نهاية عام 2006 (4261)، ويوضّح الجدول الآتي عدد أعضاء الهيئة التّدريسيّة موزّعين حسب الجنسيّة[52]:

	الإمارات	دول مجلس التعاون	عرب آخرون	آخرون	المجموع
أعضاءالهيئة التّدريسيّة	37	19	994	1019	2069

وهذا بيان بأهمّ مؤسّسات التّعليم العالي الخاصّ المعترف بها من وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة[٥٣]:

م	المؤسسة	الإمارة	تعريف موجز بالمؤسسة
1	أكاديمية الإمارات لإدارة الضيافة	دبي	تأسست أكاديمية الإمارات لإدارة الضيافة في عام 2001، وهي تتبع شركة جميرا انترناشونال التي تضم عدد اً من

51. التقرير السنوي لإدارة البرامج التعليمية ومعادلة الشهادات بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي لعام 2006.

52. السابق.

53. أوردتها بالترتيب نفسه الذي وردت به في تقرير وزارة التعليم العالي، مع ملاحظة أني اخترت منها عددا يعطي فكرة جيدة عن واقع التعليم العالي في دولة الإمارات. فقد بلغ إجمالي عدد المؤسسات 42 مؤسسة، بعضها متخصص في مجال محدد كأكاديمية الشرطة في أبوظبي ودبي، والكلية البحرية، والمعهد الدولي للأمن والسلامة، والمعهد البترولي، وبعضها الآخر في طور الإعداد كالكلية الجامعية للأم والعلوم الأسرية.

			الفنادق والمنتجعات الفاخرة مثل برج العرب وفندق جميرا بيتش وفندق أبراج الإمارات... وتمنح الدرجات الآتية: بكالوريوس إدارة الضيافة الدولية ، الدبلوم العالي في إ دارة الضيافة الدولية. بكالوريوس الفنون في إدارة السفر والسياحة الدوليين . الدبلوم العالي في إدارة الإعمال والسياحة . وتوفر درجة البكالوريوس في الضيافة للطلاب فرصة فريدة لتكملة دراستهم في " Ecole Hôtelière de Lausanne " في سويسرا مدة عام كامل . واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.emiratesacademy.edu
2	الجامعة الأمريكية في الشارقة	الشارقة	تأسست في عام 1997 في إمارة الشارقة، وهي مؤسسة تعليمية مستقلة غير ربحية على الطراز الأمريكي. وهي تقدم البرامج الأكاديمية المشابهة من حيث المحتوى والنوعية لتلك التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية. وتمنح درجة البكالوريوس في اثنين وعشرين تخصصا علميا، ودرجة الماجستير في ثمانيةِ تخصصات. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.aus.edu
3	الجامعة الأمريكية في دبي	دبي	تأسست في عام 1995 في إمارة دبي، وهي مؤسسة تعليمية مستقلة غير ربحية على الطراز الأمريكي. وهي تقدم البرامج الأكاديمية المشابهة من حيث المحتوى والنوعية لتلك التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية. وتمنح درجة البكالوريوس في ثمانية تخصصات، ودرجة الماجستير في تخصص واحد. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.aud.edu
4	الجامعة البريطانية في دبي	دبي	تأسست بوصفها مؤسسة تعليمية وتدريبية وبحثية بمعايير دولية في المنطقة. وتقدم من خلال شراكتها مع عدد من الجامعات البريطانية برامج حديثة وواسعة في عدد من التخصصات . وهي تمنح درجة الماجستير في تخصصات أهمها: العلوم المالية والمصرفية، وإدارة المشروعات، والتربية، وتكنولوجيا المعلومات. وتضع لها أهدافاً من أهمها

			"تقديم إسهام بريطاني متميز لنظام التعليم العالي في دولة الإمارات". واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.buid.ac.ae
5	الجامعة الكندية في دبي	دبي	أسستها شركة الإمارات للاستثمار والتنمية في دبي، وترتبط بشراكة مع كلية سنتينيال في تورنتو، أونتاريو بكندا، ومع جامعة إيثاسكا. وهي تعتمد منهجا تعليميا يرتكز على البرامج التعليمية الكندية، وتمنح درجة البكالوريوس في أربعة تخصصات: تقنيات هندسة الحاسوب والشبكات، إدارة الموارد البشرية، الأعمال الإلكترونية، التسويق. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.buid.ac.ae
6	الكلية الأمريكية في الإمارات	دبي	تأسست في دبي، واعتمدتها الوزارة في عام 2007، وهي تتبع الطراز الأمريكي في التعليم، وتقدم البرامج الأكاديمية المشابهة من حيث المحتوى والنوعية لتلك التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية. وتمنح درجة الدبلوم إدارة الأعمال وتكنولوجيا المعلومات. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://ace.ac.ae
7	الكلية الأمريكية في دبي.	دبي	تأسست في دبي، وهي تقدم الحد الأدنى من متطلّبات الدراسة في الجامعات الأمريكية، وتساعد الطلبة على الانتقال إلى الكليات والجامعات المعترف بها في الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا والإمارات المتحدة واستراليا الهند. وتمنح درجة الدبلوم في الآداب الحرة، والإدارة ، وتقنية المعلومات. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.centamed.com
8	الكلية الإلكترونية للجودة الشاملة	دبي	وتأسست في عام 2002 ، وتهدف إلى نشر مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في المنطقة العربية وتطبيقها باستخدام أدوات ومناهج مبتكرة. وتمنح درجة البكالوريوس في إدارة الجودة

			والأعمال، ودرجة الماجستير في التميز التنظيمي . واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. *http://www.etqm.ae*
9	جامعة أبو ظبي	أبو ظبي + العين	افتتحت في سبتمبر 2003. وتقدم عددا من البرامج الدراسية في الدراسات الجامعية والدراسات العليا صيغت على غرار النموذج الأمريكي في التعليم العالي. وتقدم الجامعة أيضاً برامج متخصصة وبرامج الدبلوم للدراسات العليا على غرار النموذج البريطاني للدراسات التحضيرية للجامعة .تمنح درجة البكالوريوس في عشرة تخصصات، ودرجة الماجستير في ستة تخصصات. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. *http://www.adu.ac.ae*
10	جامعة الاتحاد	رأس الخيمة	اعتمدتها وزارة التعليم العالي في يوليو 2007. وتمنح درجة البكالوريوس في أربعة تخصصات: اللغة الإنجليزية والترجمة، وتعليم اللغة الإنجليزية، وعلوم الحاسب الآلي، ونظم معلومات الأعمال. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. *http://www.ittihad.ac.ae*
11	جامعة الحصن	أبو ظبي	ترفع شعار "معرفة عالمية برؤية محلية، وتمنح درجة البكالوريوس في أحد عشر تخصصا، والدبلوم في تخصص التربية، والماجستير في تخصص إدارة الأعمال والتربية. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. ما عدا دبلوم التربية وبكالوريوس التربية في أساليب وتقنيات التعليم وإعداد معلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. *http://www.alhosnu.ae*
12	جامعة الشارقة	الشارقة	تأسست في عام 1997، وهي تابعة لحكومة الشارقة، وتمنح درجة البكالوريوس في 30 تخصصا، والدبلوم في تخصص التربية، والماجستير في 13 تخصصا، منها اللغة العربية. بلغ عدد الطلبة فيها في مطلع سبتمبر 2007-2008 10000 طالب . اللغة الإنجليزية هي المعتمدة للتدريس في الكليات العلمية، وتعتمد اللغة العربية في كلية الآداب في تخصص التاريخ

			واللغة العربية والاجتماع والاتصال، وفي كلية الشريعة. http://sharjah.ac.ae
13	جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا	العين	تأسست في عام 2004، وتمنح درجات البكالوريوس في عشرة تخصصات، والدبلوم المهني في تخصص التربية، والماجستير في إدارة الأعمال. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.alainuniversity.ac.ae
14	جامعة الغرير	دبي	مؤسسة تعليمية غير ربحية، أسّستها مجموعة الغرير في دبي، وهي مجموعة اقتصادية ذات مكانة في الإمارات، تدير مجموعة الشركات والمؤسسات من مثل بنك المشرق، وشركة الإسمنت الوطنية، والألمنيوم العربي، وغيرها. تمنح درجة البكالوريوس في تخصص إدارة الأعمال، والهندسة والآداب. تعتمد النظام الأمريكي في التعليم. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.agu.ae
15	جامعة باريس السوربون	أبو ظبي	تأسست في عام 2006، وتمنح درجة الليسانس في ثمانية تخصصات، منها التاريخ، الفلسفة والاجتماع، اللغة الفرنسية والأدب المقارن، اللغة والحضارات، الموسيقى .. اللغة الفرنسية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.paris-sorbonne-abudhabi.ae
16	جامعة دبي	دبي	اعتمدتها وزارة التعليم العالي في سبتمبر 2000 ، وهي تتلقى الدعم المادي والمعنوي من سلطة دبي للتجارة والصناعة، وتمنح درجة البكالوريوس في ستة تخصصات، في إدارة الأعمال والعلوم. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://du.ac.ae
17	جامعة رأس الخيمة للطب والعلوم الصحية	رأس الخيمة	تأسست بوساطة مؤسسة رأس الخيمة للتطوير البشري، وهي مؤسسة تابعة لحكومة رأس الخيمة، وشريك للغرير للاستثمار ومجموعة Ascon ETA . تمنح درجة البكالوريوس في الصيدلة والطب والتمريض.

			اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://rakmhsu.com
18	جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا	عجمان	تأسست في عام 1988، ومنحت الاعتراف من قبل وزارة التعليم العالي في 1994. تمنح درجة البكالوريوس في أربعة وعشرين تخصصا، كما تمنح درجة الدبلوم والماجستير في بعض التخصصات. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://ajman.ac.ae
19	جامعة ولونغونغ في دبي	دبي	تأسست في عام 1993 بوساطة جامعة ولونغونغ في أستراليا، وتمنح درجات الدبلوم والبكالوريوس والماجستير في تخصصات مختلفة، ترتبط معظمها بإدارة الأعمال والتجارة والتسويق والموارد البشرية وعلوم الحاسوب. يدرس فيها ما يقارب 2500 طالب من 80 دولة. واللغة الإنجليزية هي لغة التدريس في الجامعة
20	كلية الخليج الطبية	عجمان	تأسست في عام 1998 ، وهي كلية متخصصة في علوم الطب والتمريض والصيدلة، تمنح درجات البكالوريوس في الطب والجراحة، والعلاج الطبيعي، والتمريض، والصيدلة. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.gmcajman.com/
21	كلية الاتصالات الجامعية	الشارقة	تأسست في عام 1989، وكانت آنذاك تمنح درجة الدبلوم في هندسة الاتصال، ثم بعد سنتين درجة البكالوريوس في هندسة الاتصال. ثم توسعت في عام 1997، فأصبحت تمنح أيضا درجة البكالوريوس في الهندسة الإلكترونية، وهندسة الحاسوب. اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس المعتمدة. http://www.ece.ac.ae
22	كلية الدراسات الإسلامية والعربية	دبي	وهي كلية خيرية وقفية، أنشأها السيد جمعة الماجد في دبي في عام 1986، وهي تمنح درجة الليسانس في تخصصين: الفقه الإسلامي، واللغة العربية. وفي عام 1995 بدأت بمنح درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، ثم في عام 2002 بدأت تمنح درجة الماجستير في اللغة العربية. بلغ مجموع الخريجين فيها حتى عام 2003 : 536 طالبا، و2486 طالبة.

			اللغة العربية هي اللغة المعتمدة للتدريس. http://www.islamic-college.co.ae

وبعد هذا العرض السّريع لمؤسسات التّعليم العام والعالي في دولة الإمارات، مع الإشارة إلى واقع اللّغة العربيّة فيها، نورد الملاحظات الآتية:

١. هناك توجّه واضح نحو إعطاء اللّغة الإنجليزيّة مساحة أكبر من اللّغة العربيّة في التّعليم العامّ الحكومي، خاصّة بعد ظهور ما يسمّى بمدارس الشّراكة في أبوظبي، ومدارس الغدّ في الإمارات كلّها. إذ يبدأ تدريس اللّغة الإنجليزيّة كلغة ثانية من مرحلة رياض الأطفال، كما أنّها لغة التّدريس المعتمدة في الموادّ العلميّة كالعلوم والرّياضيّات من الصّفّ الأوّل الأساسيّ.

٢. هناك توجّه نحو توظيف عناصر أجنبيّة، أمريكيّة في الغالب، في مؤسّسات التّعليم العامّ الحكوميّ في الدّولة يتقلّدون وظائف إشرافيّة أو استشاريّة تتّصل اتّصالا مباشرًا بالعمليّة التّعليميّة وما يرتبط بها من تصميم المناهج وطرق التّدريس والتّدريب للمعلّمين والمعلّمات.

٣. يغلب على عمل الوزارة، فيما يتّصل بالمناهج وتطويرها، طابع الارتجال والتّغيير المستمرّ، وهذا أمر ينعكس سلبًا على الواقع التّعليميّ في الدّولة بعامّة.

٤. المدارس الخاصّة الّتي تعتمد المناهج الأجنبيّة في التّدريس تنحو نحو الزّيادة في الإمارات، وهناك إقبال كبير من أبناء الإمارات والعرب للدّراسة فيها.

٥. مؤسّسات التّعليم العالي الحكوميّة والخاصّة تعتمد اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم، ما عدا استثناءات بسيطة في جامعة الشّارقة وكلّيّة دبي للعلوم الإسلاميّة والعربيّة[٥٤].

---

54. كلّ المواقع الإلكترونية للجامعات الحكومية والخاصة باللغة الإنجليزية، مع عدم وجود رابط باللغة العربية إلا في جامعة أبو ظبي الخاصة، وتستثنى من هذا جامعة الشارقة وكلية دبي للعلوم الإسلامية والعربية.

٦. من الممكن أن تقسّم الجامعات الخاصّة في دولة الإمارات إلى قسمين كبيرين:

أ – الأوّل مرتبط بجامعات غربيّة أمريكيّة أو كنديّة أو بريطانيّة أو استراليّة.

ب –والثّاني مرتبط بشركات أو مؤسّسات اقتصاديّة محلّيّة أو عالميّة.

٧. معظم الجامعات في الدّولة تركّز في رؤيتها ورسالتها على تحقيق المعايير العالميّة في التّعليم العالي، والاستجابة لمتطلّبات سوق العمل في الدّولة وخارجها، وتمكين المتعلّمين فيها من اكتساب المهارات الأساسيّة في اللّغات والتّقنيات، والمعارف الأساسيّة، مع تأكيد الطّابع العمليّ القائم على التّدريب والعمل ضمن مجموعات، وتنمية مهارات الاتّصال، وتوسيع آفاق المتعلّمين بالتّعرّف إلى الثّقافات المختلفة واحترامها.

٨. الجامعات الحكوميّة ومعظم الجامعات الحكوميّة الخاصّة في الدّولة تضع اجتياز امتحان التّوفل بنسبة نجاح تصل إلى 500 شرطًا أساسيًّا للقبول فيها.

وقد يكون فيما عرضناه دليل واقعيّ على أنّ اللّغة متأثّرة تأثّرًا مباشرًا بالتّغيّرات الهائلة على المستوى الاقتصاديّ والسّياسيّ والاجتماعيّ في كلّ بقاع الأرض، "فلم تعد الدّولة أو السّلطة السّياسيّة هي حلقة الوصل بين المجتمع ومصالحه والأفراد وحقوقهم. ولكن أصبحت الدّولة تتضمّن في الوقت نفسه أجهزة ومؤسّسات عولميّة، تشكّل سلطة رابعة، لها مصالحها ومنافعها، وهكذا أصبح

استقرار المجتمع مشروطًا بحدوث التّوازن بين الدّول القويّة، ونظام السّوق الكفء، والمؤسّسات الدّوليّة وشروط التّعامل معها"[٥٥] .

ودولة الإمارات ليست بمنأى عن هذا التّحوّل في العالم كلّه، بل إنّ النّموّ الاقتصاديّ الهائل الّذي تشهده الدّولة، والانفتاح الكبير على العالم الآخر، والنّسبة المتزايدة للأجانب الّذين باتوا يتقلّدون مناصب مهمّة سواء على الصّعيد التعليمي أو في المجال الاقتصادي المتمثّل في الشركات والمؤسسات التجارية الكبرى أو في البنوك والمراكز الاستثمارية المختلفة– كلّ ذلك يشكّل عوامل ضغط داخليّة قويّة بالإضافة إلى العوامل الخارجيّة الأخرى نحو اعتماد اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم والتّعامل الرّسميّ والتّجاريّ في الدّولة. وعلى الرّغم من أنّ كثيرًا من التّصريحات الرّسميّة تؤكّد حرص الدّولة على اللّغة العربيّة إلا أنّ ترجمة هذا الحرص إلى واقع لم ير النور حتّى اليوم. بل إنّ المرء ليفاجأ بكثير من الوقائع الّتي تقع في الدّولة وتظهر تجنّيًا واضحًا على اللّغة العربيّة من غير أن يكون هناك ردّ فعل واضح يحفظ للعربيّة مكانتها الّتي تستحق بين النّاس[٥٦].

ولا يقتصر هذا التّوجّه إلى اللّغة الإنجليزيّة على المؤسّسات الرّسميّة والخاصّة منها، بل إنّه أصبح يتسرّب إلى عامّة النّاس، فعدد الأسر الّتي تتّجه نحو المدارس والجامعات الخاصّة يزداد ازديادًا ملحوظًا، خاصّة في السّنوات

---

55. حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة، عالم المعرفة، ع 257، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو 2000، 224–225.

56. من ذلك ما تمارسه جامعة زايد من ممارسات بإجبار الموظفين العرب فيها على الالتزام بالتحدث بالإنجليزية التزاما تاما. وقد نشرت جريدة الإمارات اليوم في تاريخ 2007 /3/4 رسالة أرسلتها إحدى الموظفات المواطنات تشكو من هذا الأمر وتستنكره، وجاء الخبر تحت عنوان "موظفة في جامعة زايد تخشى نسيان لغتها العربية" .

الأخيرة، وحين يُسألون عن سبب ذلك، فإنّ الإجابة الأولى الّتي يبتدرونك بها هي "من أجل أساس متين باللّغة الإنجليزيّة"[٥٧]. وعلى الرّغم من أنّ كثيرين من أولياء الأمور يظهرون حرصهم واهتمامهم باللّغة العربيّة إلا أنّهم يرون أنّ اللّغة العربيّة لا تُقدَّم إلى أبنائهم بالمستوى الّذي تُقَدَّم فيه اللّغة الإنجليزيّة، وهم يُجْمِعون على أنّ اللّغة الإنجليزيّة تجذب المتعلّمين من كلّ الأعمار لأسباب كثيرة منها طبيعة المنهج وبساطته وجاذبيّة الكتاب، وطريقة التّدريس، ووجود روافد كثيرة من وسائل التّعليم المختلفة الّتي تجعل المتعلّم يستمتع وهو يتعلّم، في مقابل شعور بالملل والصّعوبة وعدم الجدوى حين يكون الحديث عن اللّغة العربيّة.

ولعلّ فيما أشاروا إليه من فروق بين واقع تعليم اللّغة العربيّة واللّغة الإنجليزيّة يقع على قمّة التّحدّيات الّتي تواجهها لغتنا اليوم، وهذا ما يمكن أن يسمّى بعقبة عدم الكفاية، فاللّغة العربيّة، شأنها شأن كثير من اللّغات، تواجه صعوبات كثيرة في مجال التّعليم منها عدم كفاءة المنهج وعدم وضوح أهدافه، والفقر الواضح في الموادّ التّعليميّة من كتب ومعاجم وقصص وموادّ إلكترونيّة ووسائل تعليم حديثة، وضعف المعلم وعدم وعيه بأهمّيّة دوره، وزهده في مهنة التّعليم، وضعف التّدريب والتّأهيل، وعدم مواكبة التّطوّرات الهائلة في مجال تعليم اللّغات وتعلّمها [٥٨]. وهذا كلّه يصبّ في مصلحة اللّغة الإنجليزيّة الّتي تتمتّع بجاذبيّة لا ينكرها أحد بسبب الجهود الكبيرة الّتي تبذل في سبيل تيسير تعلّمها في كلّ مكان.

---

57. هذه الإجابة التي أتلقاها في الغالب حين يدور الحديث بيني وبين الأمهات في كثير من المناسبات.

58 . انظر: لطيفة النجار، اللغة وعقبة عدم الكفاية، جريدة البيان ، 2007/8/29.

إنّ اللّغة العربيّة في مجتمع الإمارات تعاني من إقصاء واضح في معظم مجالات الحياة، وتواجه صدًّا من أبنائها في مجتمع ينفتح انفتاحًا عظيمًا على الثّقافات الأجنبيّة المختلفة، ويتّجه بسرعة نحو الاستجابة لمتطلّبات النّظام الاقتصاديّ الجديد، فيجعل سوق العمل فيه مؤسّس على اللّغة الإنجليزيّة بالدّرجة الأولى[٥٩]. أما المشفقون عليها المتمسّكون بها فإنّهم يقفون شبه عاجزين أمام ما تحظى به اللّغة الإنجليزيّة من احتفاء على جميع المستويات.

59. كثيرا ما تطالعنا الصحف بإعلانات عن وظائف شاغرة تشترط فيها الجهة المعلنة التمكن من اللغة الإنجليزية من غير ذكر للغة العربية، أو بالقول: معرفة العربية عامل مساعد.

المصادر والمراجع

أولا – العربية:

١. الكتب والوثائق الرسمية:

- مجلس أبو ظبي للتعليمHttp://www.adec.ac.ae (مدارس الشراكة).
- حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة، عالم المعرفة، ع 257، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو 2000.
- محمد حسنين العجمي، التطور الأكاديمي والإعداد للمهنة الأكاديمية بين تحديات العولمة ومتطلبات التدويل، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، 2007.
- مطر أحمد عبد الله، واقع التركيبة السكانية ومستقبلها في دولة الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000.
- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق، عمان، 2006.
- وزارة الاقتصاد: http://www.economy.ae/ .
- وزارة التربية والتعليم:
  - الإحصاءات التعليمية لعام 2006–2007 ، قسم التوثيق والإحصاء. (قرص مدمج)
  - القرار الوزاري رقم 2/921 لسنة 1999م بتاريخ 1999/4/10.
  - القرار الوزاري رقم 2938/ 2 لسنة 2000 بتاريخ 2000/9/5.

- القرار الوزاري رقم 11472 لسنة 2003 بتاريخ 12/31/ 2003.
- القرار الوزاري رقم 1/11 لعام 2004، والقرار الوزاري 1/12 لعام 2005.
- الوثيقة الوطنية لمنهج اللّغة العربيّة للتّعليم العامّ في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، يونيو 2002.
- http://www.moe.gov.ae/newmoe/news/2007/May/31.htm (مدارس الغد) .
- وزارة التّعليم العالي، التقرير السنوي لإدارة البرامج التعليمية ومعادلة الشهادات، 2006.

٢. الصحف المحلية:

- جريدة الاتحاد بتاريخ 2007/7/26.
- جريدة الإمارات اليوم 2007/3/4.
- جريدة البيان بتاريخ 2007/5/23 – 2007/6/28. http://www.albayan.ae.
- جريدة البيان ، 2007/8/29 (لطيفة النجار، اللغة وعقبة عدم الكفاية).
- جريدة الخليج بتاريخ 2007/8/17 http://www.alkhaleej.ae .

ثانيا – الأجنبية:

- Abdel Bagi Abdel Ghani Babiker, Higher Education, Globalization and Quality Assurance in the Arab State. In: *Globalization and the market in higher education*, Unesco Publishing, 2002.
- Barbara Trudell, Local community perspectives and language of education in sub-Saharan Africa communities, *International Journal of Educational Development* 27, 2007.
- Barbara Trudell, Language choice, education and community identity, *International Journal of Educational Development*, 25, 2005.
- Dorain, N. Language loss and maintenance in language contact situations. In : *the loss of language skills*, edited by R, Lambert & B. Freed. Rowley, Massachusetts: Newbury House, 1982.
- Elaine Mellen Day, Identity and the Young English learner. In: *Bilingual Education and Bilingualism*, 36, 2002.
- Gilles Breton & Michel Lambert, *Universities and Globalization: Private linkages*, Public Trust, Unesco Publishing, 2003.
- John E, Joseph, *Language and Identity: National, Ethnic, Religious*, Palgrave Macmillan, New York, 2004.
- John Edwards, *language, society and identity*, basil Blackwell, Oxford- New York, 1985.
- Kimmo Kosonen, The Role of Language in Learning: What does International Research Say, In*: First Language First*, Unesco – Bangkok, 2005.

- Levinson, B.A. & Holland, D.C, The cultural production of the educated person: an introduction. *In: The cultural production of the educated person: an introduction: Critical Ethnographic of Schooling and Local Practice*, State University of New York, Albany, 1996.
- Monica Heller, Globalization, The new economy and The coomodification of language and identity, *Journal of Sociolinguistics* 7/4 ,2003 .
- Ove Korsgssrd, The Impact of Globalization on Adult Education.In: *Globalization, Adult Education & training: Impacts & Issues*, edited by Shirley Walters, Zed Books, London, New York, 1997.
- Prah, K.K, *African Languages for the Mass Education of Africans*. DSE, Bonn, 1995.
- Royal Institute of International Affairs, *Nationalism*, London: Frank Cass, 1963.
- Susan Malone, Education for Multiligualism and Multi-literacy in Ethnic Minority Communities: The Situation in Asia, In: *First Language First*, Unesco – Bangkok, 2005.
- Suarez-Orozco, Marcello M (editor), *Globalization: Culture and Education in the New Millennium*, University of California Press, 2004.
- Thomas, W.P. and Collier, V. School *Effectiveness for Language Minority Students*. 1997. http://www.ncela.gwu.edu/nchepuhs/resource/effectiveness/
- Unesco, *Policy paper for change and development in higher education*, Paris.1995.
- Unisef, *The State of the World's Children*, New York, 1999.

- Williams, E, *Investigating Bilingual literacy: Evidence from Malawi and Zambia.* Serial No. 24. London, 1998.
- Williams, G. Language group allegiance and ethnic enteraction. In: *Language and ethnic relations*, edited by H, Giles & B, Saint-Jacques. New York, 1979.
- Yasir Suleiman, *The Arabic Language and National Identity*, Georgetown University Press, Washington, D.C, 2003.